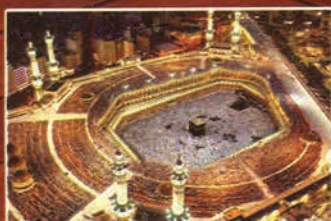


النوديل

الشمس جديها

الشمس جديها

عزوة مؤتة



ظهور الفاحشة ..
الأسباب والعلاج

أسباب ثبات القلوب



طرق علاج
الانفعال الزائد



منهج الاقتصاد الإسلامي
في علاج المشكلات الاقتصادية المعاصرة

السلام عليكم

أبواب الخير

جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد - يعني مسجد المدينة - شهراً، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يثبتها له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل» رواه الطبراني. (السلسلة الصحيحة، ٩٠٦).

فلنسارع جميعاً؛ فإن أبواب الخير واسعة، والمحروم من حرم هذه الأجور مع كثرة طرقها وسهولة عملها، وإن نفع المسلمين والإحسان إليهم من الأعمال الصالحة التي تدل على سلامة القلب ورقة الطبع، فأحسن إلى الناس تجد أثر ذلك بركات ورضا وسعادة؛ فالجزاء من جنس العمل.

التحرير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ



صاحبة الامتياز

جمعية أنصار السنة المحمدية



المشرف العام

د. عبد العظيم بدوي



اللجنة العلمية

جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هيك

د. مرزوق محمد مرزوق

محمد عبد العزيز السيد

٨ شارع قوتة عابدين - القاهرة

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧، فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

WWW.ANSARALSONNA.COM

هاتف: ٢٣٩١٥٤٥٦ - ٢٣٩١٥٥٧٦

البريد الإلكتروني: MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير: GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات: ت: ٢٣٩٣٦٥١٧، ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM



سكرتير التحرير:

مصطفى خليل أبو المعاطي



الإخراج الصحفي:

أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيهاً بحوالة
فورية باسم مجلة التوحيد ، على
مكتب بريد عابدين ، مع إرسال صورة
الحوالة الفورية على فاكس مجلة
التوحيد ومرقها بها الاسم والعنوان
ورقم التليفون
٢- في الخارج ٣٠ دولاراً أو ١٠٠ ريال
سعودي أو مايعادلها
ترسل القيمة بسويقت أو بحوالة بنكية
أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع
القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار
السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

ثمن النسخة

مصر ٣٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم
، الكويت ٥٠٠ فلس ، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠
فلس ، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران
أوروبا ٢ يورو

مطابع الأهرام التجارية
قليوب - مصر

في هذا العدد

- ٢ افتتاحية العدد: د. عبد الله شاكر
متبر الحرمين، أسباب ثبات القلوب،
- ٥ د. صالح بن عبد الله بن حميد
- ٨ باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي
- منهج الاقتصاد الإسلامي في علاج المشكلات الاقتصادية المعاصرة،
- ١٠ د. حسين حسين شحاتة
- ١٤ أحداث مهمة في تاريخ الأمة: عبد الرزاق السيد عبيد
- ١٧ باب السنة، والأخرة خير وأبقى: د. مرزوق محمد مرزوق
- قواعد وأداب في التعامل بين الشيوخ والشباب،
- ٢٠ د. عبد الرحمن بن صالح الجيران
- ٢١ درر البحار: علي حشيش
- ٢٣ باب فقه المرأة المسلمة: د. عزة محمد رشاد
- ٢٦ لزوم الأدب قبل العلم: صلاح نجيب الدق
- ٣٠ علاج الانفعال الزائد: د. ياسر لمي
- ٣٣ باب الفقه: د. حمدي طه
- ٣٦ واحة التوحيد: علاء خضر
- ٣٨ دراسات شرعية: د. متولي البراجيلي
- ٤١ سبيل المؤمنين في فقه التعامل مع المخالفين، معاوية محمد هيكل
- ٤٥ باب التربية: د. عبد العظيم بدوي
- ٤٨ ظهور الفاحشة.. الأسباب والعلاج: أحمد صلاح رضوان
- ٥٠ باب الأسرة المسلمة: جمال عبد الرحمن
- ٥٣ تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش
- ٥٧ قرائن اللغة والنقل والعقل: د. محمد عبد العليم الدسوقي
- ٦١ نظرات في السيرة النبوية: د. سعيد صوابي
- ٦٤ باب القراءات القرآنية: د. أسامة صابر
- ٦٦ مشروعية الخلاف: د. أحمد سبالك
- ٦٨ دراسات قرآنية: مصطفى البصراطي
- ٧٠ ميراث النساء بين الحرمان والتفضيل في العطاء:
المستشار أحمد السيد علي إبراهيم

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

١٠٥٠ جنيهاً شمع التكريتية للأفراد والهيئات والجمعيات
داخل مصر و ٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن .

الحمد لله الواحد الأحد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، والصلاة والسلام على من بعثه ربه هادياً وبشيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.. وبعد:

فقد تحدثت في ثلاثة لقاءات سابقة عن أسباب الغضب الإلهي، وإنزال العذاب من لدن رب العباد، وفي هذا اللقاء أجمل القول في هذا الموضوع، فأقول وبالله التوفيق:

٧- البطر:

مصدر مأخوذ من مادة «بطر». قال ابن منظور: البطر: الطغيان عن النعمة وطول الغنى، وفي الحديث: الكبر: بطر الحق، هو أن يجعل ما جعله الله حقاً من توحيده وعبادته باطلاً، وقيل: هو أن يتحير في الحق فلا يراه حقاً». (لسان العرب: ٦٩/٤).

وعليه فالبطر هو كفر النعمة، وكفرها إما يكون بجحد المنعم، أو بعدم شكره واستخدامها في غير ما خلقت لأجله والبطر عاقبته وخيمة، وهو من أسباب الهلاك والدمار وزوال النعمة، كما قال الله تعالى: «وَكَمْ أَفْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِشَتَهَا فَمِنْهَا مَنَكُنْهُمْ لَا تَسْكُنُ مِنْ بَدِيرٍ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ» (القصص: ٥٨)، قال ابن كثير: «يقول تعالى مُعْرِضًا بأهل مكة في قوله تعالى: «وَكَمْ أَفْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِشَتَهَا» (القصص: ٥٨) أي: طغت وأشرت وكفرت نعمة الله، فيما أنعم به عليهم من الأرزاق، كما قال في الآية الأخرى: «وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِسَانَهُ الْجُوعَ وَالْخَوْفَ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ» (النحل: ١١٢). (تفسير ابن كثير ٥٣٧/٣).

والاستثناء الوارد في قوله تعالى: «فَمِنْهَا مَنَكُنْهُمْ لَا تَسْكُنُ مِنْ بَدِيرٍ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ» (القصص: ٥٨) يحتمل وجوهاً- منها ما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لم يسكنها إلا المسافر وما زال الطريق يوماً أو ساعة». وقيل: يحتمل أن شؤم معاصي المهلكين بقي أثره في ديارهم، فكل من سكنها من أعقابهم لم يبق فيها إلا قليلاً وكنا نحن الوارثين لها بعد هلاك أهلها. (انظر: مفاتيح الغيب ٣٠٤/١٢). وقد ذكر الله قصة سبأ في كتابه للاعتبار بحال الأمم التي لم تقابل نعم الله بشكره، فأهلكها وبدل



من أسباب

إنزال

العذاب

الحلقة الرابعة

بقلم / الرئيس العام

د/ عبد الله شاكر الجنيدي

www.sonna_banha.com



حالتها، قال تعالى: «لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَكَانِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ. بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبِّ غَفُورٌ ۝ فَاعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكْمَلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۝ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَافِرِينَ» (سبأ: ١٥-١٧)، فهؤلاء القوم قد يسر الله لهم أسباب الرزق بهاتين الجنتين، وتفضل عليهم بألوان من النعم، منها: الأمن والبلدة الطيبة، ولم يطلب منهم شيئاً كثيراً، بل أمروا بالأكل من رزق الله وعبادته وحده دون سواه، ليقع منهم الشكر له سبحانه. جل في علاه، ولما أعرضوا وتكبروا للمنع كان من شأنهم ما ذكره الله عنهم.

قال السعدي: «فأعرضوا عن المنعم وعن عبادته، ويطروا النعمة وملوها، حتى إنهم طلبوا وتمنوا أن تتباعد أسفارهم بين تلك القرى التي كان السير فيها متيسراً، وظلموا أنفسهم بكفرهم بالله وبنعمته، فعاقبهم الله تعالى بهذه النعمة التي أطففتهم، فأبارها عليهم، فأرسل عليهم سيل العرم، أي: السيل المتوعر الذي خرب سدّهم، وأتلف جناتهم، وخرب بساتينهم، فتبدلت تلك الجنات ذات الحدائق المعجبة، والأشجار المثمرة، وصار بدلها أشجاراً لا نفع فيها». (تيسير الكريم الرحمن ٢٧٠/٦).

وقد نهى الله المؤمنين عن التشبه بالمشرّكين في البطر والرياء، فقال تعالى: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِينِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاسَةَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَشَاءُ يُخَيِّطُ» (الأنفال: ٤٧)، وهذه الآية تصوّر ما كان عليه المشركون في غزوة بدر من المفارقة والاستعلاء على المؤمنين، فكانت نهايتهم الهلاك، وقد ساق ابن حجر بسنده إلى عروة أنه قال: لما نجا أبو سفيان بعيره أرسل إلى المشركين أن ارجعوا، فقالوا: والله لا نرجع حتى تنزل بدراً فنقيم فيه ثلاث ليال ويرانا من غشينا من أهل الحجاز، ففتح الله على رسوله، وأخزى

أئمة الكفر، وشفى صدور المؤمنين منهم». (تفسير الطبري ١٢/١٠).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم من أبعد الناس من البطر، كما في حديث أبي عبد الرحمن الفهري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال: «أسرج لي الفرس، فأخرج سرجاً دفتاه من ليف ليس فيه أشرو ولا بطر». (انظر: صحيح أبي داود ٩٨٣/٣).

وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم وعيد شديد لمن جرّ إزاره بطراً، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرّ إزاره بطراً». (البخاري: ٥٧٨٨).

٨- الاستكبار:

الكبر والكبرياء: العظمة والتجبر، والاستكبار: الامتناع عن قبول الحق معاندة وتكبراً. (انظر: لسان العرب ١٢٦/٥ - ١٢٩). وقال الكفوي: «التكبر: هو أن يرى المرء نفسه أكبر من غيره، والاستكبار: طلب ذلك التشبع، وهو التزين بأكثر مما عنده». (الكليات: ص ٢٨).

والكبرآفة عظيمة ويقع فيه كثير من الناس، وهو من الكبائر. قال القاسمي رحمه الله: «واعلم أن الكبر ينقسم إلى باطن وظاهر، فالباطن هو خلق في النفس، والظاهر: هو أعمال تصدر من الجوارح، وتلك الأعمال أكثر من أن تحصى وأفته عظيمة وغائلته هائلة.. ومنشؤه استحقار الغير وازدراؤه واستصغار، ولذلك شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر بهاتين الأفتين بقوله: «الكبر بطر الحق وغمط الخلق»، أي: ازدراؤهم واحتقارهم وهم عباد الله أمثاله أو خير منه». (موعظة المؤمنين ص ٢٨٣).

والكبر كان سبب شقاء إبليس ولعنه وطرده من رحمة الله تعالى، كما قال سبحانه: «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ» (البقرة: ٣٤)، والآية أفادت أن الله أكرم آدم وأمر الملائكة بالسجود

له فاستجابت لذلك، وحسده عدو الله إبليس على هذه الكرامة فأبى واستكبر، فلعله الله وطرده ووسمه بالكفر، وقد تعرض القاسمي رحمه الله لمعنى السجود الوارد في الآية، وذكر أقوالاً منها: أنه تكريم لآدم، ولم يكن عبادة لآدم، ثم نقل عن بعض أهل العلم أنهم قالوا: السجود كان لآدم بأمر الله وفرضه، وعلى هذا إجماع كل من يسمع قوله، فإن الله تعالى قال: «اسجدوا لآدم»، ولم يقل: إلى آدم، فسجود الملائكة لآدم عبادة لله وطاعة وقربة يتقربون بها إليه، وهو لآدم تشريف وتعظيم وتكريم، وسجود إخوة يوسف له تحية وسلام. (انظر: تفسير القاسمي ١٠٢/٢، ١٠١/٢).

وقد أثنى الله في كتابه على الملائكة باستجابتهم وطاعتهم لله وعدم استكبارهم فقال: «إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ» (الأعراف: ٢٠٦)، كما أخبر عنهم بحسن الطاعة ونزوم العبادة، فقال تعالى: «وَلَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ» (٧٩) «يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ» (الأنبياء: ٢٠ - ١٩)، قال ابن كثير: «يعني الملائكة» لا يستكبرون عن عبادته، أي: لا يستنكفون عنها، وقوله: «ولا يستحسرون» أي: لا يتعبون ولا يملون، «يسبحون الليل والنهار لا يفترون»، فهم دائبون في العمل ليلاً ونهاراً، مطيعون قصداً وعملاً، قادرين عليه. (تفسير ابن كثير ٢٤٣/٣).

والكبر سبب من أسباب الكفر بالحق وعدم قبوله كما وقع من اليهود، قال الله فيهم: «أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ» (البقرة: ٨٧)، وهذه الآية تبين حقيقة اليهود، وتذمهم في مواجعتهم للأنبياء والمرسلين بالكذب والقتل اتباعاً لهوى النفس واستكباراً في الأرض، قال الطبري رحمه الله: «قال أبو جعفر: يقول الله جل ثناؤه لهم: يا معشر يهود بني إسرائيل، لقد آتينا موسى التوراة، وتابعنا من بعده بالرسول إليكم، وآتينا عيسى ابن مريم البيئات

والحجج، إذ بعثناه إليكم، وقويناه بروح القدس، وأنتم كلما جاءكم رسول من رسلي بغير الذي تهوون نفوسكم استكبرتم عليهم- تجبراً وبغياً- استكبار إمامكم إبليس، فكذبتم بعضاً منهم. وقتلتم بعضاً. فهذا فعلكم أبداً برسلي». (تفسير الطبري ٣٢١/١).

والمستكبرون هم أعداء الرسل في كل ملة، ومن يتبع آيات القرآن يجد ذلك في غاية الوضوح اقرأ مثلاً قول الله تعالى عن قوم صالح: «قَالَ اتْلُوا الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا مِنْ أَمَانٍ مِنْهُمْ أَتَمَلُوكُمْ أَنَّ صَلَاحًا مُرْسَلًا مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ» (٧٥) «قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَاذِبُونَ» (الأعراف: ٧٦، ٧٥)، والله تبارك وتعالى عقوبة منه للمتكبرين يصرف قلوبهم وعقولهم عن الحق، فلا يجد الخير طريقاً إليهم، كما جاء في القرآن الكريم: «سَاءَ صُوف عَنِ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ مَاءٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهِ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرِّجْدِ لَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يَكُونُ سَبِيلَ اللَّهِ يَسْجُدُونَ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ» (الأعراف: ١٤٦)، ومال هؤلاء المستكبرين النار، أعاذنا الله وإياكم منها، قال الله تعالى: «وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْعَبْتُمْ حِينَ كُنْتُمْ فِي حَاكِمِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَفْتَعْتُمْ بَهَا قَالُوا لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّ هَؤُلَاءِ لَكُنَّا لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كُفْرًا أَفَتَعْتَبُوهَا كُفْرًا وَأَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ» (الأحقاف: ٢٠).

وأختم هنا بهذا الحديث المبارك الذي يبين فيه النبي صلى الله عليه وسلم صفات أهل الجنة وصفات أهل النار، كما في حديث حارثة ابن وهب أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ قالوا: بلى. قال: كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره. ثم قال: ألا أخبركم بأهل النار؟ قالوا: بلى. قال: كل عتل جواظ مستكبر». (البخاري ٦٠٧١، ومسلم: ٢٨٥٣).

والعتل: هو الجال في الشديد الخصومة، والجواظ: الجمع الممنوع. أسأل الله سبحانه أن يجعلنا من أهل جنته، وأن يصرف عنا عذابه، والحمد لله رب العالمين.





أسباب ثبات القلوب

الشيخ د. صالح بن عبد الله بن حميد



خطيب وإمام المسجد الحرام

يُقَلِّبُهُ كَيْفَ يَشَاءُ" وفي لفظ آخر: "إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُقِيمَهُ أَقَامَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَنْ يُزَيِّغَهُ أَزَاغَهُ" (رواه أحمد، والترمذي) وإسناده صحيح.

عباد الله، ولئن كان القلب محل التقلب فهو محل الثبات؛ ولهذا كان نبينا محمد-صلى الله عليه وسلم- كثيرا ما يقول: "يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ" (أخرجه ابن ماجه والترمذي)، وحسنه من حديث أنس- رضي الله عنه-، وما منح العبد منحة أفضل من منحة الثبات في القول والعمل، يجد ثمرة ذلك في حياته كلها، وأعظم ما يجده حينما يكون في قبره، (يَنْتَ اللَّهُ الْيَوْمَ) **مَأْتُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ**) (إبراهيم: ٢٧)، والثبات- حفظكم الله- هو دوام استقامة المسلم على الحق والهدى، أمام مثيرات الفتن ودواعي الهوى وبواعث الشهوات، وقد قال أهل العلم: "إن من علامات توفيق العبد وثباته أنه كلما زاد علمه زاد تواضعه وزادته رحمته بالناس، وكلما زاد عمله زاد خوفه وحذره، وكلما زاد ماله زاد سخاؤه وكرمه وانفاقه، وإذا امتد به العمر قل به الحرص وضعف تعلقه بأهل الدنيا وتبع أخبارهم".

عباد الله، ولا يظهر الثبات على وجهه إلا حينما يرى العبد شخا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذي رأي برأيه، وقد قال بعض السلف: "من علامات الثبات، الإنابة إلى دار الخلود، والتجالي عن دار الغرور، والتأهب للموت قبل الورود".

معاشر المسلمين، وإذا كان ذلك كذلك فقد ذكر أهل العلم جملة من الوسائل والأسباب التي تعين على الثبات في مواقف الفتن والمتغيرات:

الحمد لله، الحمد لله خلق الخلاق وقدر لها أقواتها وكفاها، سبحانه وبحمده، أجزل عطاياه لعباده فتعمه لا تتناهي، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة من عرف معناها، وعمل بمقتضاها، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبد الله ورسوله، أقام أركان الملة، وأعلى ذراها، صلى الله عليه وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه أزكى الأمة، وأبرها وأتقاها، والتابعين ومن تبعهم بإحسان، وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد: فأوصيكم-أيها الناس- ونفسي بتقوى الله، أوصيكم بتقوى الله وحسن الخلق، فاتقوا الله- رحمكم الله-، فكل ابن آدم خطاء فاستترأ ولا تجاهرأ، واستغفروه ولا تصروا، وإذا أسأتم فأحسنوا، السعيد من اعتبر بأمسه، ونظر لنفسه، والمحروم من جمع لغيره ويخل على نفسه، والحازم من لم يؤجل عمل يومه لغده، واعلم يا عبد الله أن غنى غيرك لا ينقص من رزقك، وسعادته لا تؤخذ من سعادتك، فكن حسن الخلق طيب القلب، تحبك القلوب، والزم الشكر والصبر والاستغفار، (حُدِّ الْعَمْرُ وَأَمْرٌ بِالْعَزِيمِ وَالْعَزِيمَةُ) (الأعراف: ١٩٩).

أيها المسلمون، ما سمي القلب قلبا إلا لتقلبه وتردده تقلبه الظروف والمؤثرات، وتتجاذبه عوامل الخير وعوامل الشر بين لمة الملك، ولمة الشيطان، بين تثبيت الملائكة واجتيال الشياطين، وفي التنزيل العزيز: (وَقُلِّبْ أَقْدَبَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ) (الأنعام: ١١٠)، وقد بين لنا نبينا محمد-صلى الله عليه وسلم- عجيب صنع الله في أحوال هذا القلب، حينما أتى-عليه الصلاة والسلام- بهذه الصيغة وهو يقسم: "لا ومقلب القلوب" (رواه البخاري). وفي قوله-عليه الصلاة والسلام- كثيرا: "يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ" قالوا: أوتخاف يا رسول الله؟ قال: "وَمَا يُؤْمِنِي وَالْقَلْبَ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ".





عليها: فإن العبد لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله.

ومن الأسباب: ملازمة كتاب الله- عز وجل-، قال عز شأنه: **(كَذَلِكَ يُبَيِّنُ**

لِقَاءُكَ) (الفرقان: ٣٢)، وقال عز شأنه: **(قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ)** (الأنعام: ١٠٤)، فتأمل- حفظك الله- العلاقة بين كتاب الله والبصيرة: **(قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ)**؛ وإذا رزق العبد البصيرة فرّق بين الحق والباطل، والمصلحة والمفسدة والسنة والبدعة، والمؤمن في زمن المتغيرات والفتن أحوج ما يكون إلى البصيرة؛ فنورها يبدد ظلمات الفتن، يقول حذيفة- رضي الله عنه-: "لا تضرك الفتنة ما عرفت دينك، إنما الفتن إذا اشتبه عليك الحق بالباطل".

ومن أسباب الثبات: العمل بالعلم وبما تعرفه من الأحكام والسنة والآداب، يقول عز شأنه: **(وَلَوْ أَنَّهُمْ قَلَّمُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَلْفَ نَفْسٍ تَلْذِيهَا ۖ زَالًا فَتَطْمَئِنُّهُم مِّنْ أَثَرِهَا عَظِيمًا ۗ وَلَهَبْنَاهُمْ مِطْرًا مُّسْتَقِيمًا)** (النساء: ٦٦-٦٨)، ومن عمل بما علم رزقه الله علم ما لم يعلم، ومن ثمرات ذلك كله التقوى؛ قال عز شأنه: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا)** (الأنفال: ٢٩).

ومن أعظم الأسباب: حبس اللسان عن التشكي والصبر وضبط النفس، والتحكم في نزغاتها من العجلة والطيش والغضب والطمع وضبط الملل والسامة وبخاصة إذا برزت مثيرات الفتن، وهذا كله يورث هداية القلب ومحبة الله ومحبة الناس.

ومما يجمع ذلك كله: حسن ظن العبد بربه، وتمام التعلق به، فليس من شأن المؤمن اليأس والقنوت بل تراه دائما خائفا راجيا، ولا يكون حسن الظن على وجهه إلا مع إحسان العمل، والإقبال على الله ودوام الطاعة والعمل الصالح، يقول ابن مسعود- رضي الله عنه-: "والذي لا إله غيره ما أعطي عبد مؤمنا شيئا خيرا من حسن الظن بالله- عز وجل-، والذي لا إله غيره لا يحسن عبد بالله- عز وجل- الظن إلا أعطاه الله ظنه ذلك؛ بأنه الخير بيده".

والمؤمن حين يحسن الظن بربه لا يزال قلبه مطمئنا ونفسه آمنة، تغمره السعادة والرضا بقضاء الله وقدره وخضوعه لربه.

والمسلم حين يحسن الظن بالله تراه كلما رأى المتغيرات ازداد نشاطا في بيان الحق والدعوة إليه، ونشر الفضائل ومحاربة الرذائل؛ فيكون من الصالحين عند فساد الناس والمصلحين لما أفسد الناس.

معاشر الأخبة: ومن أعظم وسائل الثبات: اليقين بأن

وأول الأسباب وأهمها: تحقيق التوحيد قولا وعملا واعتقادا، وتحقيق العبودية التامة لله وحده ومعرفة الله حق المعرفة؛ فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف، قال عز شأنه: **(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)** (فاطر: ٢٨)، ويتجلى ذلك بالإيمان بأقدار الله، وتقويض الأمور إليه، وحسن التوكل عليه، عجباً لأمر المؤمن وإن أمره كله خيرا؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له، ولا يكون ذلك إلا لمؤمن، فيكون العبد ملازماً لمقام خوفه، مشفقاً من سلب التوفيق، وقد أمر المؤمن بالإيمان وما ذلك إلا للثبات والاستمرار فقال عز شأنه: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بَاسُوا)** (النساء: ١٣٦)، وقال عز شأنه: **(وَرَبُّهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ)** (المذثر: ٣١)، ويقول طلق بن حبيب: اتقوا الفتن بالتقوى.

ومن أسباب الثبات عباد الله: لزوم الطاعات والعمل الصالح، والاستقامة على الخير حسب الطاقة والاستطاعة ولزوم الجادة وحب الخير وبذله للناس واحتساب الخير والأجر عند الله، وصاحب الطاعات والأعمال الصالحة لا يخزيه الله أبداً.

ومن أسباب الثبات: ملازمة العلماء والرجوع إليهم، يقول عز شأنه: **(فَتَلَوْنَا هَٰذَا الذِّكْرَ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)** (النحل: ٤٣)، وقال جل وعلا: **(وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ لَهُمْ وَلَئِمَّةٌ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ مِنْهُمْ)** (النساء: ٨٣)، فملازمة العلماء عصمة من الضلال والانحراف، يقول الحسن البصري- رحمه الله-: "الدنيا كلها ظلمة إلا مجالس العلماء". والصدور عن توجيهات أهل العلم من أعظم السبل للوقاية من الفتن، والعصمة من الانحراف والاستقامة على الثبات.

ومن الأسباب: مصاحبة الصالحين والأخيار؛ فالمؤمن مرة أخيه، والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته؛ أي: يمنع خسارته ويحوطه من رواه؛ أي: يحفظه ويصونه ويدافع عنه ويثبتته، يقول عز شأنه: **(وَأَسِرُّوا سِرَّهُمْ مَعَ الَّذِينَ يَبْتَغُونَ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ وَلِئَلَّامُ يَرْبُدُوا وَجْهَهُمْ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ)** (الكهف: ٢٨).

ومن أعظم الأسباب: الدعاء والتضرع والانطراح بين يدي الله الرب الرحيم مقلب القلوب والاشغال بذكر الله ومناجاته وحسن التعلق به، وقد افترض الله على عباده أن يسألوه الهداية في كل ركعة من صلاتهم في قوله عز شأنه: **(أَعِزُّوا نَفْسَكُمْ لِلَّهِ)** (الفاتحة: ٦)، قال الحافظ ابن كثير- رحمه الله-: "ولو لا احتياج العبد ليلا ونهاراً إلى سؤال الهداية لما أرشده الله إلى ذلك؛ فإن العبد مشتقر كل ساعة وحال إلى الله- تعالى- في تثبيتته على الهداية ورسوخه عليها وتبصره بها، وازدياده منها واستمراره





العاقبة للتقوى وأن وعد الله حق؛
فيصبر المؤمن على ما يقولون ويصبر
لحكم ربه ويعلم أن دين الله محفوظ
وجند الله منصورون، قال عز شأنه:
(يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِيرٌ
نُورِهِ) **وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** (مُرَادُ اللَّهِ أَوَّلَ رَسُولِهِ وَأَمَلَهُ دِينُ الْحَقِّ يُظْهِرُهُ
عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا) **وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** (الصف: ٩)، يقول شيخ الإسلام
ابن تيمية-رحمه الله-: "كما أن الله نهى نبيه أن يصيبه
حزن أو ضيق ممن لم يدخل في الإسلام في أول الأمر فذلك
المؤمن منهي أن يحزن عليهم أو يكون في ضيق من مكرهم".

وكثير من الناس إذا رأى التغير في بعض أحوال أهل
الإسلام جزع وكل وناح كما ينوح أهل المصائب، وهو منهي
عن هذا بل هو مأمور بالصبر والتوكل والثبات على دين
الإسلام، وأن يؤمن بأن الله مع الذين اتقوا والذين هم
محسنون، وأن ما يصيبه فهو بذنوبه أو بتقصير منه، وأن
وعد الله حق، وليس تغفر لذنبه وليسبح بحمد ربه بالعشي
والإبكار، وقد قال بعض الصالحين: "لا تخوفوا الناس من
الفقر فهذا عمل الشيطان، فلا تكونوا من جنوده وأنتم لا
تشعرون، قال عز شأنه: (الْفَقْرُ يَمُرُّكُمْ فَاصْبِرُوا) **وَالْفَقْرُ**
يَمُرُّكُمْ (البقرة: ٢٦٨)، واعلم بأن الذي فتح فاك لن
ينسأك، وما أغلق الله على عبد بابا بحكمته إلا فتح له
بابا برحمته.

وبعد عباد الله: فمن توفيق الباري-سيحانه وتعالى-
لعبده أن ييسر له الأخذ بالأسباب التي بعونه-سيحانه-
تعيينه على الثبات عند حلول الفتن وكثرة البلايا، فما كتب
للعبد سيكون ولو لم يرده، وما ليس له فلن يصل إليه مهما
بذل واجتهد، ومن أصبح وأمسى ليس له هم إلا ربه ومولاه
تحمل الله عنه حوائجه كلها، وحمل عنه ما أهمله وفرغ
قلبه لمحبه، والحي لا تؤمن عليه الفتنة، والله يحول بين
المرء وقلبه، وأهل الثبات هم أهل الرحمة في قوله عز شأنه:
(لَا يَرْؤُونَ الْمُخْلِيفِينَ) **(إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ)** (هود: ١١٨-١١٩).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: (يَحْيَى اللَّهُ الْكَلِمَاتِ
أَمْسُوا بِالْقَوْلِ الثَّانِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ
الْقُلُوبَ وَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ) (إبراهيم: ٢٧).

معاشر المسلمين: ومن أعظم أسباب الثبات: الرضا عن
الله، وهو قرين حسن الظن بالله وقد وصف الله به عباده
الصالحين في أربعة مواضع من كتابه، وفي كل منها يقول
سيحانه: (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) (المائدة: ١١٩)، (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
وَرَضُوا عَنْهُ) (التوبة: ١٠٠)، (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) (المجادلة: ٢٢)،
(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) (البينة: ٨).

وانظر يا عبد الله: هل أنت راض عن ربك؟ الرضا عن
الله-حفظك الله- هو التسليم بكل ما قسم الله لك؛ فتؤمن

يقينا أن ربك ما أراد بك في جميع أحوالك وابتلائك إلا
خيرا، وإذا رضيت عن ربك قلت منك الشكوى للمخلوقين،
والتسخط على الأوضاع، ترضى عن ربك إذا أعطاك
وإذا منعك، وترضى في حال الصحة كما ترضى في حال
المرض، والرضا-رعاكم الله- لا يتعارض مع فعل الأسباب
لحل المشكلات وعلاج الأوضاع، كما لا يتعارض مع الألم
الذي تشعر به والحزن الفطري؛ ومن ثم تسعى في علاجه
وتخفيفه، وانظر إلى حال عبد لم يرض؛ فهو لو ملك
الدنيا كلها فلن يرضى، وفي الحديث: "من رضي فله الرضا،
ومن سخط فعليه السخط"، واعلم أن الرضا عن الله من
أعظم السبل لرضا عنك.

رضينا بالله ربا وبالإسلام ديننا وبمحمد-صلى الله
عليه وسلم- نبيا ورسولا.

اللهم ارزقنا حسن الظن بك وصدق التوكل عليك،
وجميل الإنابة إليك حتى تكون بما عندك أوثق مما في
أيدينا.

ألا فاتقوا الله-رحمكم الله- واعلموا أن مع كل هذا
وذاك فكم لربنا المحسن الكريم الوهاب النعم من أفضال
خفية، وحكم غير مرئية؛ فهو الذي يقلب الكدر صفوا،
ويحول الكريات مكرمات وكرامات، والعمل مع الأمل
يقتضي السعي بهمة في يقين وثبات، والفرج قريب،
والعوض كثير، والله الأمر من قبل ومن بعد، وهو غالب على
أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

هذا وصلوا وسلموا على الرحمة المهداة والنعمة
المسداة نبينا محمد رسول الله: فقد أمركم بذنوبكم
في محكم تنزيله فقال وهو الصادق في قوله قولا كريما:
(إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (الأحزاب: ٥٦).

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك نبينا
محمد الحبيب المصطفى والنبي المجتبى وعلى آله الطيبين
الطاهرين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وارض اللهم عن
الخلفاء الأربعة الراشدين: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي،
وعن الصحابة أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى
يوم الدين، وعنا معهم يعفوك وجودك وإحسانك وإكرامك
وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام
والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك
والمشركين، وخذ الطغاة والملاحدة وسائر أعداء الملة
والدين، اللهم آمنا في أوطاننا، اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح
أمتنا وولاة أمورنا، واجعل اللهم ولايتنا فيمن خافك
واتقاك،

واتبع رضاك يا رب العالمين.



سورة محمد

صلى الله عليه وسلم

الحلقة السادسة

د. عبد العظيم بدوي

قال الله تعالى: «يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا
اللَّهُ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا
لَهُمْ وَأُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنزِلَ اللَّهُ
فَاحْطَبُوا أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ أَفَلَا يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ وَلِلْكَافِرِينَ
أَمْثَلُهَا ﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ
لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١١﴾» (محمد: ٧-١١).

أسباب النصر:

قَالَ تَعَالَى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ
يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ»
يقول تعالى: يا من رضيتم بالله ربا، وبالإسلام
دينا، وبمحمد رسولا، يا من صدقتم بالله ورسوله،
والكتاب الذي نزل على رسوله، والكتاب الذي أنزل من
قبل. «إِن تَنصُرُوا اللَّهَ» بنصرة دينه، ونصرة كتابه،
ونصرة نبيه صلى الله عليه وسلم، ونصرة شريعته،
ونصرة سنته، «يَنصُرْكُمْ» الله على عدوكم، «وَيُثَبِّتْ
أَقْدَامَكُمْ» عند اللقاء، ويربط على قلوبكم، فلا
تجنبوا عن اللقاء، ولا تفروا إذا لقيتموهم، ويثبتكم
بعد ذلك على أداء تكاليف النصر، وهي المذكورة في
قوله تعالى: «وَلْيَنصُرْكَ اللَّهُ مِنْ نَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ
عَزِيزٌ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ إِن مَكَنَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَحْسَنُوا أَسْكُوتُوا وَأَتُوا
الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَظِيمُ
الْأَمْرِ» (الحج: ٤٠، ٤١).

ولقد قررت هذه الآية الكريمة قاعدة الجزاء
المشهورة وهي: الجزاء من جنس العمل، وهي قاعدة
أكدتها الكتاب والسنة:

قال تعالى: «يَبْقَى بُرْهَانٌ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ

وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنَّي لَأَرَقِيبٌ» (البقرة: ٤٠)،
وقال تعالى: «فَأَذْكُرُوا لَكُمْ» (البقرة: ١٥٢)، وقال
تعالى: «مَلَأَ حِزْبَهُ الْإِحْسَنَ إِلَّا الْإِحْسَنُ» (الرحمن: ٦٠).
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ
عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ
ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأَ ذِكْرَتُهُ فِي مَلَأَ خَيْرٍ
مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذَرَاعًا، وَإِنْ
تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذَرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْسِي
أَتَيْتُهُ هَرُولَةً» (صحيح البخاري ٧٤٠٥).

وزيادة في تَقْوِيَةِ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى
مَا هُوَ فَاعِلٌ بِأَعْدَائِهِمُ الْكَافِرِينَ فَقَالَ تَعَالَى: «وَالَّذِينَ
كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ»:

التعس: الهلاك والعثار والسقوط والشر والبعد
والانحطاط. (إرشاد العقل السليم ٨٥/٦). وهي كلها
ضد ما وعد الله به المؤمنين بقوله: «وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ».

وقوله تعالى: «وَأُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ» أي أبطلها
وأحبطها، كما سبق بيانه في أول آية. والعلة فيما فعله
بهم من التعاسة والاضلال بيئها في قوله سبحانه:
«ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنزِلَ اللَّهُ فَاحْطَبُوا أَعْمَالَهُمْ»، وقد

سبق بيانها أيضا في أول آية.

وجوب الاعتبار بوحدة مصير الكاذبين:

قال تعالى: «أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا».

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: أَفَلَمْ يَسِرْ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْمُتَكَبِّرُونَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ، فِي الْأَرْضِ سَفَرًا، وَإِنَّمَا هَذَا تَوْبِيخٌ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ، لِأَنَّهُمْ قَدْ كَانُوا يَسَافِرُونَ إِلَى الشَّامِ، فَيَرَوْنَ نَقْمَةَ اللَّهِ الَّتِي أَحَلَّهَا بِأَهْلِ حَجْرٍ ثَمُودَ، وَيَرَوْنَ فِي سَفَرِهِمْ إِلَى الْيَمَنِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ بَسْبًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَلَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سُبْحَانَ» (الصافات: ١٣٧، ١٣٨)، وَقَالَ تَعَالَى: «وَلَقَدْ أَنزَلْنَا عَلَى آلِ قَارُونَ الْكِتَابَ الَّذِي أَنْطَرَتْ مَطَرُ السَّيِّئَةِ أَكَلَكُمْ يَكُونُوا يَكُونُهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجِعُونَ شَيْئًا» (الفرقان: ٤٠)، وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: «أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُون لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ مَآذِنَ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ» (الحج: ٤٦).

فَقَالَ تَعَالَى لِتَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ: أَفَلَمْ يَسِرْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ سَفَرًا فِي الْبِلَادِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ تَكْذِيبِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ رُسُلَهَا، الرَّادَّةُ نَصَائِحُهَا؟ أَلَمْ تَهْلِكْهَا فَتُدْمَرْ عَلَيْهَا مَنَازِلُهَا وَنَحْرِيهَا، فَيَعْظُوا بِذَلِكَ، وَيَحْذَرُوا أَنْ يَفْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ بِهِمْ فِي تَكْذِيبِهِمْ آيَاهُ، فَيَتَّبِعُوا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ فِي تَصَدِيقِكَ؟!

ثُمَّ تَوَعَّدَهُمْ جَلَّ شَأْنُهُ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ هُمْ أَقَامُوا عَلَى تَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ، أَنَّهُ مُحِلٌّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ مَا أَحَلَّ بِالَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ، فَقَالَ: «وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا» أَي: وَلِلْكَافِرِينَ مِنْ قَرِيشِ الْمُكَذِّبِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْعَذَابِ الْعَاجِلِ أَمْثَالُ عَاقِبَةِ تَكْذِيبِ الْأُمَمِ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ عَلَى تَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (جامع البيان ٤٦/٢٦) بتصرف.

ومن الثابت المعلوم أن إنجاء الرسل واتباعهم المؤمنين كان دائما قرين إهلاك المكذبين، كما صرح ربنا سبحانه وتعالى بذلك في قوله: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَآمَنُوا بِهِمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَتَيْنَاهُمُ مِنَ اللَّيْلِ فَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَكَانَ عَذَابًا عَظِيمًا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ» (الروم: ٤٧)، وقد فصل ربنا سبحانه وتعالى هذا في سورة هود، فقال: «وَلَمَّا جَاءَ أُنْمَاةً فَاتَيْنَاهُمْ فَنُجِّمْنَاهُمْ هَوًّا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ رَحِمْنَا وَنَحْنُ مِنْ عَذَابٍ عَظِيمٍ» (هود: ٥٨).

(٥٨)، وقال تعالى: «لَمَّا جَاءَ أُنْمَاةً فَاتَيْنَاهُمْ فَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ فَنُجِّمْنَاهُمْ هَوًّا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ رَحِمْنَا وَنَحْنُ مِنْ عَذَابٍ عَظِيمٍ» (هود: ٦٦-٦٧)، وقال تعالى: «وَلَمَّا جَاءَ أُنْمَاةً فَاتَيْنَاهُمْ فَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ فَنُجِّمْنَاهُمْ هَوًّا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ رَحِمْنَا وَنَحْنُ مِنْ عَذَابٍ عَظِيمٍ» (هود: ٩٤).

ثم بين الله تعالى الحكمة في إجماع المؤمنين وإهلاك المكذبين فقال: «ذَلِكَ بَأْنِ اللَّهِ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ».

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ذَلِكَ الْفِعْلُ الَّذِي فَعَلْنَا بِهِذَيْنِ الْفَرِيقَيْنِ: فَرِيقِ الْإِيمَانِ، وَفَرِيقِ الْكُفْرِ، مِنْ نَصْرَتِنَا فَرِيقِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَتَنْبِيئِنَا أَقْدَامَهُمْ، وَتَدْمِيرِنَا عَلَى فَرِيقِ الْكُفْرِ، بَأْنِ اللَّهِ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ، أَي: مِنْ أَجْلِ أَنَّ اللَّهَ وَلِيُّ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَأَطَاعَ رَسُولَهُ، وَبَانَ الْكَافِرِينَ بِاللَّهِ لَا وَلِيَّ لَهُمْ، وَلَا نَاصِرَ.

ولذلك لما نال المشركون يوم أحد من المسلمين ما نالوا وقف أبو سفيان شامتا فقال: أَيُّ الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَتَهَاكُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُجِيبُوهُ. ثُمَّ قَالَ: أَيُّ الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قَحَافَةَ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ أَيُّ الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَمَّا هَؤُلَاءِ فَقَدْ قَتَلُوا. فَمَا مَلِكُ عَمْرِ نَفْسُهُ فَقَالَ: كَذَبْتَ وَاللَّهِ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، إِنَّ الَّذِينَ عَدَدْتَ لِأَحِبَّاءِ كُلِّهِمْ، وَقَدْ بَقِيَ لَكَ مَا يَسُوءُكَ. قَالَ: يَوْمَ يَبْيُومُ بَدْرَ وَالْحَرْبِ سَجَالٍ، إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَهُ فِي الْقَوْمِ مِثْلَةَ لَمْ أَمْرُ بِهَا وَلَمْ تَسُوْنِي، ثُمَّ أَخَذَ يَرْتَجِزُ: أَعْلَى هَبْلٍ، أَعْلَى هَبْلٍ. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا تَجِيبُونِي لَه». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا نَقُولُ؟ قَالَ: «قُولُوا لِلَّهِ أَعْلَى وَأَجَلٌ». قَالَ: «إِنَّ لَنَا الْعُزَّى وَلَا عُزَى لَكُمْ». فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا تَجِيبُونِي لَه». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا نَقُولُ؟ قَالَ: «قُولُوا لِلَّهِ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ». (صحيح البخاري ٣٠٣٩).

فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ الْجَمْعُ بَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ»، وَبَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: «ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ» (الأنعام: ٦٢)؟

نَقُولُ: الْمَوْلَى وَرَدَ بِمَعْنَى: السَّيِّدُ، وَالرَّبُّ، وَالنَّاصِرُ. فَحَيْثُ قَالَ: «لَا مَوْلَى لَهُمْ» أَرَادَ لَا نَاصِرَ لَهُمْ، وَحَيْثُ قَالَ: «مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ» أَي: رَبُّهُمْ وَمَالِكُهُمْ. (التفسير الكبير: ٥٠/٢٨).

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.



منهج الاقتصاد الإسلامي في علاج المشكلات الاقتصادية المعاصرة

اعداد: د. حسين حسين شعاعة

الأستاذ بجامعة الأزهر

والمهارة حتى ينتج ويبدع ويُجود، فهو أساس التنمية والنهضة، ولن يتحقق ذلك إلا إذا تم توفير الحرية والعدالة والأمن، وكذلك توفير الحاجات المعيشية الأصلية له ليحيا الحياة الكريمة الرغدة، وهذا بدوره يحتاج إلى إصلاح سياسي.

- المحافظة على الملكية الخاصة وتوفير الأمن لرأس المال حتى ينطلق ليؤدي دوره في تمويل المشروعات الاستثمارية، ومن وسائل ذلك تخفيض الضرائب والرسوم ونحوها وحمايته من الفساد بكافة صوره (الرشوة- السرقة- الابتزاز....).

- المحافظة على التوازن بين الملكية العامة والملكية الخاصة في إطار منضبط لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية فكل منهما دور هام في تحقيق الإصلاح الاقتصادي المنشود، ولا ينبغي إهمال دور قطاع الأعمال العام في التنمية بشرط ترشيده وضبطه.

- التخطيط الاستراتيجي للمشروعات الإنتاجية والخدمية المختلفة في ضوء فقه الأولويات الإسلامية، الضروريات والحاجيات، فلا يجوز توجيه الإمكانيات والطاقات والموارد لإنتاج الكماليات في الوقت الذي تفتقر فيه الدولة إلى الضروريات والحاجيات.

- تطوير النظم الضريبية وما في حكمها في إطار أن تؤخذ الضريبة بالحق، وتنطق حصيلتها بالحق، ولا يجوز إهدارها في الباطل، كما يجب تطبيق نظام زكاة المال ليساهم بدوره في التنمية الاجتماعية والاقتصادية وفق الضوابط الشرعية.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول

الله، وبعد:

يعاني العالم ولاسيما الدول النامية أو ما تسمى بدول العالم الثالث العديد من المشكلات الاقتصادية، والناجمة عن المشكلة الاقتصادية الرئيسية والتي تتلخص في محدودية الموارد والوسائل، وغير محدودية الغايات والحاجات، ومن بين هذه المشكلات: مشكلة التنمية بهدف زيادة الموارد، ومشكلة الفقر، ومشكلة البطالة، ومشكلة العمال، ومشكلة الغلاء، ومشكلة التضخم، ومشكلة التسعير، ومشكلة الخصخصة، ومشكلة المديونية، ونحو ذلك.

ويرى فقهاء الاقتصاد الإسلامي أن هذه المشكلات ناجمة بسبب تطبيق مفاهيم وأسس وضعية والتركيز على الجوانب المادية، وإهمال الجوانب الروحية، وللإسلام نظرتة المتميزة في علاج هذه المشكلات، وهذا ما سوف نتناوله بشيء من الإيجاز في هذا المقال، مع التركيز على ثلاثة محاور في كل مشكلة وهي:

- تحليل طبيعة المشكلة.

- استقراء أسباب المشكلة.

- منهج الاقتصاد الإسلامي في علاج المشكلة.

أولاً: منهج الاقتصاد الإسلامي

في علاج مشكلة التنمية

تتمثل محاور منهج الاقتصادي الإسلامي في التنمية في الآتي:

- الاهتمام بالتكوين الشخصي والتأهيل العلمي والعملية للإنسان العامل المنتج من حيث القيم والأخلاق والسلوك والمعرفة



- ضبط أسواق المعاملات الاقتصادية والمالية بتشريع عادل سليم وفعال، والتصدي لكل صور أكل أموال الناس بالباطل، ومن أمثلة ذلك: الربا والميسر والغش والتدليس والرشوة والاحتيايل، والسرقة والحرابة... وما في حكم ذلك، وهذا بدوره يتطلب تطوير نظم الرقابة على الأسواق.

- الإسراع في إصلاح وتطوير النظام النقدي بما يحافظ على قيمة النقد وحمايته من كل الأساليب التي تضعفه، ومنها السوق الخفية (السوداء) وتهريب الأموال إلى الخارج، وتداول الأموال القذرة المكتسبة بأساليب غير مشروعة.

- الإسراع في إصلاح وتطوير النظام المصرفي حتى يؤدي دوره في تحقيق التنمية من خلال تفعيل كل أساليب وأدوات الادخار، وضخ هذه الأموال إلى تمويل المشروعات بنظم المشاركة والتي ثبت نجاحها وتفوقها على نظام الفائدة، والاستفادة بصيغ وأدوات ومنتجات المصرفية الإسلامية والتي بدأت تأخذ بها معظم الدول المتقدمة غير الإسلامية.

- دعم مؤسسات المجتمع المدني وتحريرها من كافة القيود لتنتقل نحو تحقيق مقاصدها الاجتماعية والخيرية والتي لها مردود اقتصادي تنموي، ومن أهمها: مؤسسات الزكاة، مؤسسات الوقف الخيري، المؤسسات الاجتماعية الخيرية، مؤسسات التكافل الاجتماعي، النقابات، النوادي وما في حكم ذلك.

- الكشف عن مصادر ومنابع الثروة الطبيعية والحفاظ عليها، وحسن وترشيد استغلالها وحمايتها من الاستغلال الأجنبي، فمصر غنية بمواردها وخيراتها.

- إعادة النظر في سياسات وتشريعات التجارة الخارجية من منظور حماية الصناعة الوطنية، والتركيز على الضروريات منها اللازمة لتحقيق

التنمية، فالوطن أولى بالرعاية والحماية.

- بذل المساعي لتقوية كافة روابط العلاقات الاقتصادية بين أقطار الأمة العربية والإسلامية، ووضع إستراتيجية للتكامل والتعاون والتي سوف تقود إلى السوق العربية والإسلامية المشتركة حتى تكون أموال الدول العربية والإسلامية لخير العرب والمسلمين.

أولويات التنمية في ضوء منهج الاقتصاد الإسلامي

من أصعب الأمور تحديد أولويات المشكلات الاقتصادية التي يجب أن تعطى الأولوية عند الحل والإصلاح حيث إن جميعها خطيرة ملحة وتحتاج الدخول إلى غرف العناية المركزة وإن كان هناك ضرورة للترتيب، فمن منظور الأولويات الإسلامية يجب البدء بالمشكلات التي تتعلق بحفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال، ومنها على سبيل المثال ما يلي:-

(١) مشكلة التخطيط في إصدار القوانين الاقتصادية وتنقيتها مما تتعارض مع أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية وتمس الدين ومنها على سبيل المثال قوانين الربا والكسب الحرام والقمار (المضاريات).

(٢) مشكلة الحريات الاقتصادية في إطار الضوابط الشرعية مثل حرية الإنسان كعامل ومنتج ومستهلك وصاحب عمل، وفي هذا المقام يجب إلغاء كافة القيود غير المشروعة التي تمس حريته وكرامته.

(٣) مشكلة نقص الحاجات الأصلية للإنسان ومنها: مشكلات الغذاء والشراب والسكن والعلاج والتعليم وكل ما يدخل في نطاق حفظ النفس.

(٤) مشكلة الزواج بسبب عدم توفير مستلزماته... وهذا بدوره يمس قضية حفظ العرض وحفظ المجتمع.

ومهما يكن من اجتهاد في ترتيب أولويات الإصلاح الاقتصادي فيجب أن نقربان بينها علاقات سببية ومتشابهة



وتحتاج إلى وضع العلاج من منظور تزواج أساليب المعرفة، وعلينا أن نبدأ بإخلاص وأن نأخذ بالأسباب.

خطورة مشكلة الفقر:

يعتبر الفقر من أهم المشكلات التي تؤثر على عقيدة ومثل وأخلاق وسلوكيات وفكر وثقافة الفرد والأسرة والمجتمع والدولة، ولقد اهتم الإسلام به اهتماماً بالغاً ووضع الضوابط التي تحجمه وتكبح طغيانه والحلول التي تعالج أسبابه، وذلك بهدف المحافظة على الأمة الإسلامية عزيزة وقوية.

ولقد من الله سبحانه وتعالى على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقال له: «**لَمْ يَجِدَكَ يَتِيماً فَكَاوَى**» **وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى**» **وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى**» (الضحى)، كما من على قريش فقال لهم: «**فَلْيَقْبِذُوا رَبَّ هَذَا الْيَتِيمِ**» **الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ**» (قريش)، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا أن ندعو الله فنقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر**» (رواه أبو داود) ويقول أيضاً «**اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة، وأعوذ بك من أن أظلم أو أظلم**» (رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه).

أثر مشكلة الفقر على العقيدة والأخلاق:

ويربط فقهاء الإسلام بين الفقر وعقيدة الإنسان ومثله وسلوكياته، فعلى سبيل المثال يقول السلف: «إذا ذهب الفقر إلى بلد قال له الكفر خذني معك».

كما أن الفقر يهيء النفس البشرية ضعيفة الإيمان لتتحرف إلى مسالك المرتشين والمنافقين واللصوص وقرناء الشياطين والكذابين، كما أنه يولد عند بعض الناس الحقد والكراهية والبغضاء من الذين وسع الله عليهم في الأرزاق، أي أن الفقر أحياناً يقود إلى رذائل الأخلاق ومنها على سبيل المثال: السرقة، والاختصاب، والكذب، وهتك الأعراض، والرشوة، ونحو ذلك من أشكال الفساد

الاقتصادي الأخلاقي.

أثر مشكلة الفقر على حرية الفرد.

كما أن للفقر آثاراً سيئة على سلوكيات الفرد غير المنضبط إسلامياً، مثل ارتكاب الفواحش، والتعاون مع غير الصالحين، وكثيراً ما نجد من أساليب تجنيد الجواسيس والعملاء لحساب أعداء المسلمين هو المال، كما أن من أساليب إغراء بعض النسوة الفقيرات على ارتكاب الفاحشة هو المال لمعالجة فقرهم. ومن أخطر آثار مشكلة الفقر أنه يفقد الفرد حريته في إبداء رأيه ويعتمد أعداء الإسلام على ذلك في إذلال المسلمين عن طريق رغيخ الخبز، ويعتبر سلاح الجوع والتجويع النموذج العملي الواضح حيث تستغله الدول الغنية للسيطرة على فكر وثقافة الدول الفقيرة.

ويعتبر الحصار الاقتصادي الذي فرضته قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا معه من السنة السابعة إلى السنة العاشرة من البعثة ليجعل هؤلاء المسلمين يرتدون عن دينهم نموذجاً فريداً لثبات المسلم على عقيدته ورأيه ضد سلاح الكفر وسلاح الفقر.

وقد جاء أن جارية الإمام أبي حنيفة قالت له يوماً في مجلسه إن الدقيق نكد، فقال لها: «قاتلك الله، لقد أضعت من رأسي أربعين مسألة من مسائل الفقه»، كما أنه قال: «لا تستشر من ليس في بيته دقيق» وكان للفقهاء من السلع صنایع، فهذا حداد، وهذا ساعاتي، وهذا نجار، وهذا خواص ليحصل من هذه الصنعة على رزق يغنيه عن الفقر حتى يكون حراً في فتواه وإبداء رأيه، وألا يكون أسيراً للمال.

ثانياً: المنهج الاقتصادي الإسلامي في علاج مشكلة

الفقر:

لقد وضع الإسلام مجموعة متكاملة من الوسائل العملية الجادة لمعالجة آثار الفقر على



مستوى الضرر والأسرة والدولة منها على سبيل المثال:-

أولاً: العمل الجاد والضرب في الأرض ابتغاء الرزق الطيب الحلال، وفي هذا يقول الله عز وجل: « فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » (الجمعة: ١٠)، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أطيب الكسب عمل الرجل بيده، وقال: بيع مبرور ». (رواه أحمد). ويقول صلى الله عليه وسلم: « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده ». (رواه البخاري)، فالعمل في الإسلام من موجبات الحصول على الرزق الحلال الطيب ولا يجوز للضرر والدولة أن تعيش عالية حتى لا يفقدوا حريتهم وعزتهم.

ثانياً: الهجرة والضرب في الأرض ابتغاء الرزق الحلال الطيب، ولقد أمرنا الله بذلك فقال: « وَمَنْ هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْغًى كَثِيرًا وَسَعَةً » (النساء: ١٠٠)، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « سافروا تصحوا، واغزوا تستغنوا ». (رواه أحمد، وصححه الألباني)، ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: « ما من حال يأتيني عليها الموت بعد الجهاد في سبيل الله أحب إلي من أن يأتيني وأنا ألتمس من فضل الله »، وأساس ذلك قول الله تبارك وتعالى: « وَآخَرُونَ يَقُولُونَ فِي الْأَرْضِ نَلْتَمِسُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يَقُولُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » (سورة المزمل: ٢٠).

ثالثاً: التعاون بين الأقطار الإسلامية في الاستخدام الرشيد للموارد الطبيعية ولا يجوز أن يكون هناك أنانية وتسلب من دولة إسلامية غنية وتكون هناك دولة إسلامية فقيرة، وأساس ذلك قول الله تبارك وتعالى:

« وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ » (المائدة: ٢)، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «

ليس بمؤمن من بات شبعان وجاره إلى جنبه جائع وهو يعلم » (رواه الطبراني والبيهقي وإسناده حسن)، كما يقول كذلك: « مثل المؤمنين في توادهم وتعارفهم وترحمهم، كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » (متفق عليه)، ولنتظر الآن ماذا يحدث لو أن الدول الغنية تعاونت مع الدول الفقيرة في كافة المجالات لتعولجت مشكلة الفقر ولتحققت العزة الإسلامية.

رابعاً: زكاة المال والصدقات التطوعية ونظام الوقف الخيري والأهلي ونظام التكافل الاجتماعي الإسلامي من أهم الأساليب لمعالجة الفقر وكافة الأمراض والأوجاع والأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فيقول الله عز وجل: « إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُعَلِّمِينَ عَلَيْهِمُ وَالْمُؤَلَّفَاتُ لَهُمْ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْفَقِيرِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » (التوبة: ٦٠)، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: « فأخبرهم أن الله قد افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وتعطى لفقرائهم » (رواه الجماعة عن ابن عباس)، وكما يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: « إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا أو عروا إلا بما يصنع أغنيائهم، ألا وإن الله يحاسبهم حساباً شديداً أو يعذبهم عذاباً أليماً ».

كما أن نظام الصدقات والكفارات ونظام التكافل الاجتماعي من أبرز سمات المنهج الإسلامي لمعالجة الفقر علاجاً كريماً طيباً والذي طبق في صدر الدولة الإسلامية وحقق حد الكفاية للمسلمين !!! ما أشد احتياجنا إليه في معالجة مشكلة فقرنا.

وللحديث بقية إن شاء الله.





غزوة مؤتة

اعداد: عبد الرزاق السيد عيد

بالغزوة؛ على اعتبار أن الرسول هو الذي سُمي قادتتها واحداً بعد الآخر، ورسم خطتها وتابعها من خلال الوحي الإلهي، وكذلك لكثرة عدد الجيش عن السرية ولأهميتها.

ثانياً: تاريخ غزوة مؤتة ومكانها؛

وقعت مؤتة في جمادى الأولى سنة ٨هـ الموافق ٦٢٩م.

ومؤتة (بالضم فالسكون) هي قرية بأدنى بلقاء الشام، وهي التي تسمى اليوم (بالكرك).

ثالثاً: سبب الغزوة؛

بعث النبي صلى الله عليه وسلم الحارث بن عمير الأزدي بكتابه إلى عظيم بصرى يدعوه إلى الإسلام، فعرض له شرحبيل بن عمرو الفسائي عامل الروم على البلقاء من أرض الشام فأوثقه رباطاً ثم قرّبه، فضرب عنقه.

رابعاً: تجهيز الجيش واختيار القادة؛

اشتد مقتل الحارث بن عمير على الرسول

والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله،

وبعد؛

اليوم نقف بعون الله معاً على حدث عظيم قد اختلفت عبارات المؤرخين في وصفه؛ فمنهم من وصفه (بأعظم حرب دامية خاضها المسلمون في حياة النبي صلى الله عليه وسلم)، ومنهم من وصفه (بالمدهش)، ومنهم من وصفه (بالعجيب)، وسنحاول فيما يأتي بعون الله أن نقف على أسرار ذلك الأمر؛

أولاً: الفرق بين الغزوة والسرية؛

اختلفت عبارات المؤرخين في التفريق بين مسمى الغزوة والمعركة والسرية، فقالوا: الغزوة هي التي يشارك فيها النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه كغزوة بدر وأحد مثلاً، أما المعركة فهي لقاء جيش المسلمين مع جيش الكافرين، ولم يشارك فيه النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه، أما السرية فعدددها يكون أقل، ولم يشارك فيها النبي صلى الله عليه وسلم.

ولهذا تنطبق هذه الأحكام السابقة على غزوة مؤتة؛ فيسميها بعض المؤرخين بالسرية، ويسميها بعضهم بالمعركة، ويسميها آخرون



والمسلمين؛ لأن الرسل عادة لا تُقتل، فكان مقتل الحارث وبهذه الطريقة البشعة بمثابة إعلان حرب على المسلمين، فجهَّز النبي صلى الله عليه وسلم جيشاً قوامه ثلاثة آلاف مقاتل للذهاب إلى المكان وتأديب القاتل ومن معه، وكان هذا العدد هو أكبر قوة يمكن تجهيزها من المسلمين في هذا الوقت، وقد عين رسول الله صلى الله عليه وسلم أمراء هذا الجيش على الوجه التالي:

١- يحمل الراية ويقود الجيش زيد بن حارثة، وقد عقد له النبي اللواء وهو راية بيضاء، فإن قُتل زيد؛

٢- فجعفر بن أبي طالب.

٣- فإن قُتل جعفر فعبد الله بن رواحة. (صحيح البخاري).

خامساً: وصية الرسول للجيش:

أوصاهم النبي أن يأتوا من قتل الحارث بن عمير، وأن يدعوا مَنْ هناك إلى الإسلام فإن أجابوا فالحمد لله، وإلا استعانوا بالله عليهم، وقال لهم: «اغزوا بسم الله في سبيل الله، لا تغدروا، ولا تغلوا ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة، ولا كبيراً فانياً، ولا منعزلاً في صومعة ولا تقطعوا نخلاً ولا شجرة ولا تهدموا بناءً». (صحيح مسلم).

ثم خرج القوم، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم مُشَبَّعاً على مشارف المدينة فوقف وودعهم. (ابن هشام).

سادساً: مفاجأة الجيش على مشارف الشام:

تحرك جيش المسلمين متجهاً إلى وجهته التي أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهناك في أرض معان على مشارف الشام مما يلي الحجاز الشمالي علم المسلمون أن هرقل نزل بمآب من أرض البلقاء بمائة ألف من الروم، وانضم إليهم من العرب المنتصرين من لخم وجذام ولبقين وبهراء وغيرهم مائة ألف آخرون؛ فبات الجيش المسلم المكون من ثلاثة آلاف قليل العدد والعدة في مواجهة جيش مكون من مئتي ألف مقاتل من الروم وحلفائهم من القبائل العربية كثير العدد والعدة، والفارق ليس بالهين؛ فليس الفارق ضعف

العدد أو حتى عشرة أضعافه بل وصل إلى سبعين ضعفاً فماذا يفعل جيش المسلمين في مواجهة الأمر الذي لم يكونوا يحتسبونه، هل يواجهون هذا البحر الخضم من الجنود أم ماذا؟

مجلس المشورة العسكري:

أقام الجيش المسلم بمعان يفكرون في الأمر ويتشاورون فيما بينهم ماذا يفعلون؟ هل يكتبون إلى رسول الله فيخبرونه بعدد عدوهم فيرسل لهم مدداً؟ أو ماذا يأمرنا بأمر فننصّي له.

ولكن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه كان له رأي آخر، فما هو؟

قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه: «يا قوم، والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون: الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين، إما ظهور وإما شهادة». فألهمت هذه الكلمات حماس الرجال، وفجرت ينابيع الإيمان في قلوبهم، ودنت من الجميع رائحة الجنة وهبت عليهم نسماؤها، ففقدوا العزم على قتال الروم والعرب المنتصرين، ورغب الجيش الذي قوامه ثلاثة آلاف أن يواجه الجيش المكون من مئتي ألف مقاتل بكامل العدد والعدة مهما كان من أمر.

سابعاً: كيف سارت المعركة؟

١- بعد أن قضى الجيش الإسلامي ثلثتين في معان، تحركوا إلى أرض العدو حيث لقيتهم جموع هرقل بقرية من قرى البلقاء، يقال لها: «مشارف» ثم دنا العدو وانحاز المسلمون إلى مؤتة، فعسكروا هناك وتعبؤوا للقتال فجعلوا على ميمنتهم قطبة بن قتادة العذري، وعلى الميسرة عبادة بن مالك الأنصاري.

٢- وهناك في مؤتة التقى الفريقان، وبدأ القتال المرير حقاً بين ثلاثة آلاف مقاتل مسلم يواجهون مئتي ألف من المشركين (هذه معركة عجيبة تشاهدها الدنيا بالدهشة والحيرة، ولكن إذا هبت ريح الإيمان جاءت العجائب). (الرحيق المختوم).



عاشرا: الوحي يصف المعركة

النبي صلى الله عليه وسلم يصف المعركة كأنه يراها يوم موته، فقال: «أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب- وعيناه تذرفان- أي عينا النبي تذرفان الدمع- ثم قال: حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم». اهـ أخرجه البخاري.

وهذا فيه بشارة بحسم المعركة لصالح المسلمين، وإشادة بمكانة خالد بن الوليد الحربية والتي انتقلت بفضل الله من الجاهلية إلى الإسلام.

ويا عجباً إن وافقت رؤية المسلمين رؤية نبيهم ووافق هواهم ما جاء به الوحي، فهذا إن دل على شيء إنما يدل على إخلاص هؤلاء الرجال وسلامة قلوبهم من الحقد والضغينة وطهارتها ورغبتها في نصر دين الله وبُعدها عن الهوى وحب الظهور وصدق نواياها، فهذا ثابت بن أقرم الأنصاري البصري يتسلم الراية ثم يرى خالدًا أحق بها فيسلمها له ويصر على ذلك ويوافق المسلمون من المهاجرين والأنصار وخالد حديث عهد بالإسلام لم يمض عليه ثلاثة أشهر بعد إسلامه، لكنه رجل القتال الأنسب في هذا الموقف بغض النظر عن حادثة دخوله في الإسلام، وهذا الاختيار يوافق اختيار الوحي وثناء النبي صلى الله عليه وسلم على خالد واعطائه أرفع وسام يناله قائد (سيف الله المسلول)، وكأنه سيف أنزله الله من السماء لينصره دينه، وهكذا نصر الله دينه بخالد في موته وفي غيرها من الملاحم بعد ذلك.

الحادي عشر: خلة خالد رضي الله عنه

وفي الحديث المتقدم والذي جاء فيه قوله صلى الله عليه وسلم: «ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم». إشارة إلى أن الله فتح على يد خالد رضي الله عنه وتغير موقف المسلمين من هزيمة كادت تفك بهم على نصر مؤزر بفضل الله سبحانه، ثم بحنكة خالد الحربية وصبر المسلمين وثباتهم.

والى لقاء آخر إن شاء الله.

٣- أخذ الراية زيد بن حارثة وجعل يقاتل بضراوة بالغة وبسالة لا يوجد لها نظير إلا في أمثاله من أبطال الإسلام، فلم يزل يقاتل ويقاتل حتى وقع شهيداً.

٤- أخذ الراية بعد استشهاد زيد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وطفق يقاتل قتالا منقطع النظير، حتى إذا أرهقه القتال اقتحم عن فرسه الشقراء فعفرها، ثم قاتل حتى قطعت يمينه، فأخذ الراية بشماله، ولم يزل بها حتى قطعت شماله، فاحتضنها بعضديه، فلم يزل رافعا إياها حتى قتل.

روى البخاري عن نافع، أن ابن عمر أخبره: أنه وقف يومئذ وهو قتيل به خمسون طعنة وضربة، وليس منها شيء في ذبيرة، يعني ظهره. يعني كانت الطعنات في جسده وهو مقبل غير مدبر.

٥- ولما قتل جعفر بعد قتاله بمثل هذه الضراوة والبسالة، أخذ الراية عبد الله بن رواحة وتقدم بها، وهو على فرسه وأخذ يقاتل حتى قتل.

ثامنا: تحول مسار الحركة

عندما قُتل عبد الله بن رواحة وسقطت الراية من يده واضطرب جيش المسلمين لبرهة حتى التفتت الراية رجل من بني عجلان اسمه ثابت بن أقرم- وقال: يا معاشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم، أي: اختاروا لكم قائداً بعد مقتل عبد الله بن رواحة حتى لا يضطرب أمر المسلمين، فقالوا: أنت. أي اختاروا ثابت بن أقرم، قال: ما أنا بفاعل وسلمها لخالد بن الوليد وقال: تسلم يا أبا سليمان الراية، قال خالد: هي لك، قال ثابت: ما تسلمتها إلا لك، فتسلمها خالد بن الوليد رضي الله عنه.

تاسعا: قتال خالد رضي الله عنه

لما أخذ خالد الراية هاجم جيش الروم ومن معهم من المشركين العرب واندفع نحوهم وقاتل قتالاً مريراً، فقد روى البخاري في صحيحه عن خالد أنه قال: «لقد انقطعت في يدي يوم موته تسعة أسياف، فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية». (صحيح البخاري).



والآخرة خير وأبقى



إعداد: د. مرزوق محمد مرزوق

الزوال.

- (روحة): زمن ما بين الزوال إلى الليل، والمعنى قضاء مثل هذا الوقت في سبيل الله أكثر ثواباً من التصديق بالدنيا وما فيها أو خير لمن فعل ذلك مما لو ملك الدنيا وما فيها.

المعنى العام للحديث:

يبين رسول الله منزلة الدنيا من الآخرة، بأن جعل موضع سوط من الجنة أو غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها، وإنما أراد ثواب الغدوة أو الروحة في الآخرة؛ لينبئه أمته على هوان الدنيا عند الله تعالى وضعتها، فهي كما وصفها تعالى «لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ» (الحديد: ٢٠) الآية.

(ينظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٤٠١/٢٩)، (شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٤٨/١٠).

مما يستفاد من الحديث:

أولاً: من أصول الإيمان: الإيمان بالجنة والنار، وأنهما المال الأبدي للخلق، والجنة دار النعيم التي أعدّها الله للمؤمنين؛ قال الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّ» (٧) جَزَأَوْهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ» (البينة: ٧-٨)، وقال تعالى: «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (السجدة: ١٧).

ثانياً: الترغيب في الغدوة والروحة في سبيل

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن متاع الدنيا واقع مشهود، ونعيم الجنة غيب موعود، والناس تصدق بالشهادة أكثر من الغيب، فكيف إذا كان الموعود يُنال بعد الموت؟ من أجل ذلك قارن جل وعلا بين الآخرة والأولى، وبين أن نعيم الجنة خير وأبقى فقال تعالى: «وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى» (الأعلى: ١٧)، ومن السنة ما رواه الإمام البخاري في صحيحه بسنده عن سهل بن سعد قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَغْدَوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا».

التفريع:

- صحيح البخاري ت البغا (٢٣٥٨/٥) (٦٠٥٢) كتاب الرقاق: باب مثل الدنيا في الآخرة.

- وفي سنن الترمذي ت بشار (٢٣٢/٣) باب ما جاء في فضل الغدو والروح في سبيل الله، وقال: حسن صحيح.

- ولبعضه شاهد في صحيح مسلم (١٤٩٩/٣) من حديث أنس في الإمارة، باب فضل الغدوة والروحة (ولغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما عليها).

مفردات الحديث:

- (موضع سوط): قدر موضعه.
- والسوط: ما يضرب به من جلد ونحوه).
- (الغدوة): زمن ما بين طلوع الشمس إلى

الله: فالوقت الذي يمضيه المجاهد في سبيل الله وقت نقيس لا يقدر بثمن؛ فمقام بضع ساعات في الجهاد يعدل الدنيا وما فيها.

قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم: «فضل الغدوة والروحة في سبيل الله وثوابهما خير من نعيم الدنيا كلها لو ملكها الإنسان، وتصور تنعمه بها كلها؛ لأنه زائل ونعيم الآخرة باق، قال القاضي: وقيل في معناه ومعنى نظائره من تمثيل أمور الآخرة وثوابها بأمور الدنيا: أنها خير من الدنيا وما فيها لو ملكها إنسان. وملك جميع ما فيها، وأنفقه في أمور الآخرة، قال هذا القائل: وليس تمثيل الباقي بالفاني على ظاهر إطلاقه». والله أعلم.

ثالثاً: الآخرة خير وأبقى من الأولى:

ونبيناً صلى الله عليه وسلم كثيراً ما كان يلفت الأنظار إلى هذه الموعظة، ومن ذلك ما نحن بصددده من هذا الحديث الشريف المبارك فمن أدرك الفوز في الدار الآخرة فقد أدرك الفوز العظيم، ومن فاتته الآخرة، ووافى ربه يوم القيامة مقصراً فذلك هو الخسران المبين قال تعالى: «قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ» (الزمر: ١٥)، فالعاقل من لم تشغله الفانية عن الباقية، ثم هو يقبل على صلاح آخرته مع قيامه بما يحتاج إليه من أمر معاشه، كما قال تعالى «وَأَتَّعَ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا» (القصص: ٧٧).

من أجل هذا كان يتنافس على هذا الفاهمون؛ كما قال تعالى: (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون)، وقد فهم الصحابة والسلف موعظة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا يتنافسون على الآخرة.

ومن دلائل أفعالهم في ذلك ما رواه أبو ذر رضي الله عنه: أن ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون

كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، قال: ((أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إن لكم بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليل صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة))، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: ((أرأيتم لو وضعها في حرام، أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر))؛ رواه مسلم.

والشاهد هو المنافسة بين الصحابة رضي الله عنهم على ما يقربهم إلى الله تعالى.

ومن أقوالهم رضي الله عنهم كما رواه أبو نعيم في الحلية: عن موهب بن عبد الله قال: لما استخلف عمر بن عبد العزيز، كتب إليه الحسن البصري كتاباً، بدأ فيه بنفسه: «أما بعد، فإن الدنيا دار مخيفة، إنما أهبط آدم من الجنة إليها عقوبة؛ واعلم، أن صرعتها ليست كالصرعة، من أكرمها يهن، ولها في كل حين قتيل؛ فكن فيها يا أمير المؤمنين كالمداوي جرحه، يصبر على شدة الدواء، خيفة طول البلاء؛ والسلام». (حلية الأولياء: ١٤٨/٢).

وعن جابر. يعني: الجعفي. قال: «قال لي محمد بن علي: يا جابر، إني لمحزون، وإني لمشتغل القلب؛ قلت: ولم حزنك، وشغل قلبك؟ قال: يا جابر، إنه من دخل، وقلبه صافٍ خالص، دين الله شغله عما سواه: يا جابر، ما الدنيا، وما عسى أن تكون؟ هل هو إلا مركب ركبته، أو ثوب لبسته، أو امرأة أصبتها؛ يا جابر: إن المؤمنين لم يطمئنتوا إلى الدنيا لبقاء فيها، ولم يأمنوا قدوم الآخرة عليهم، ولم يصمهم عن ذكر الله ما سمعوا بأذانهم من الفتنة، ولم يعمهم عن نور الله ما رأوا بأعينهم من الزينة، ففازوا بثواب الأبرار: إن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤنة، وأكثرهم لك معونة؛ إن نسيت ذكرك، وإن ذكرت أعانوك، قوالين بحق الله، قوامين بأمر الله، قطعوا محبتهم بمحبة



وكما قال ابن القيم رحمه الله في راعته في وصف الجنة:

وحي على جنات عدن فإنها
منازل الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو، فهل ترى
نعود إلى أوطاننا ونسلم
وحي على روضاتها وخيامها
وحي على عيش بها ليس يسأم
وحي على يوم المزيد وموعد
المحبين، طوبى للذي هو منهم
وحي على واد بها هو أفصح
تريته من أذقر المسك أعظم
ومن حولها كثران مسك مقاعد
لمن دونهم هذا الفخار المعظم
يرون به الرحمن جل جلاله
كرؤية بدر التم لا يتوهم
أو الشمس صحوا ليس من دون
أفقها ضباب ولا غيم هناك يقيم
فيادر إذا ما دام في العمر فسحة
وعد لك مقبول وصرفك قيم
فما فرحت بالوصل نفس مهينة
ولا فاز قلب بالبطالة بنعم
فجد وسارع واغتنم ساعة السري
ففي زمن الإمكان (تسعى وتغنم)
وسر مسرعا فالسير خلفك مسرع
وهيئات ما منه مضر ومهزم
فيا مسرعين السير بالله ربكم
قفوا بي على تلك الربوع وسلموا
نسأل الله أن يفر لنا ويجعلنا من أهل الجنة،
والحمد لله رب العالمين.

الله عز وجل؛ ونظروا إلى الله عز وجل وإلى محبته بقلوبهم، وتوحشوا من الدنيا لطاعة مليكهم، وعلموا أن ذلك منظور إليهم من شأنهم؛ فأنزل الدنيا بمنزل نزلت به، وارتحلت عنه؛ أو كمال أصبته في منامك، فاستيقظت، وليس معك منه شيء؛ واحفظ الله تعالى ما، استرعاك من دينه وحكمته». (حلية الأولياء: ١٨٢/٣).

• وخطب عمر بن عبد العزيز فقال: «إن الدنيا ليست بدار قرار، داركم كتب الله عليها الفناء، وكتب على أهلها منها الظعن؛ فكم عامر موثق، عما قليل مخرب؟ وكم مقيم مغتبط، عما قليل يخلعن؟ فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة، بأحسن ما يحضركم من النقلة، وتزودوا؛ فإن خير الزاد التقوى؛ إنما الدنيا كفيء ظلال قلص فذهب، بينا ابن آدم في الدنيا ينافس فيها، وبها قرير العين، إذ دعاه الله بقدره، ورماه بيوم حتفه، فسلبه آثاره ودنياه، وصير لقوم آخرين مصانعه ومغناه؛ إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر، إنها تسر قليلاً، وتجر حزناً طويلاً». (حلية الأولياء: ٢٩٢/٥).

وعن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه، قال: «دخلت على أبي بكر رضي الله تعالى عنه في مرضه الذي توفى فيه، فسلمت عليه؛ فقال: رأيت الدنيا قد أقبلت ولما تقبل، وهي جاثية، وستتخذون ستور الحرير، ونضائد الديباج، وتألون ضجائع الصوف الأزرى، كأن أحدكم على حسك السعدان؛ والله؛ لئن يقدم أحدكم فيضرب عنقه في غير حد، خير له من أن يسبح في غمرة الدنيا». (حلية الأولياء: ٣٤/١). وعن شمييط بن عجلان قال: «كل يوم ينقص من أجلك وأنت لا تحزن، وكل يوم تستوي من رزقك؛ قد أعطيت ما يكفيك، وأنت تطلب ما يطغيك؛ لا بقليل تقنع، ولا من كثير تشبع؛ كيف يستبين للعالم جهل من قد عجز عن شكر ما هو فيه، وهو مغتر في طلب الزيادة؟ أم كيف يعمل للأخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته، ولا تنقضي فيها رغبته؟ فالعجب كل العجب؛ لمصدق بدار الحق، وهو يسعى لدار الغرور». (حلية الأولياء: ١٢٩/٣).

أهمية تقويم الشخصية

قواعد وآداب
في التعامل بين
الشيوخ والشباب

الجلد الخامسة

د. عبد الرحمن بن صالح الجبران



سيرتقي في سلم الكمال الإيماني، وسيحوز على قصب
السبق في مضمار العلم والمعرفة.

من مشكلات الشباب

المشكلة الأولى: المعارضة والتصلب في المواقف وحب
الظهور وإلقاء اللوم على الآخرين؛ وهذا يظهر جلياً في
حال الاختلاف في الرأي أو في الأولويات في الدعوة إلى
الله.

الحل الشرعي: يقول الله تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا
بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (الحجرات: ١٠).

يقول العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «فالواجب علينا
في مثل هذا الأمر أن نكون أمة واحدة، وأنا لا أقول أنه لا
يخطئ أحد، بل يخطئ ويصيب ولكن الكلام في الطريق
إلى الإصلاح إصلاح هذا الخطأ، ليس الطريق إلى إصلاح
الخطأ أن أتكلم في غيبته وأقبح فيه ولكن الطريق إلى
إصلاحه أن أجتمع به وأناقشه...» (الصحوة الإسلامية
ضوابط وتوجيهات (ص ٦٠)).

الحل الاجتماعي؛

يرى أهل الاختصاص بعلم النفس والاجتماع أن علاج
هذه المشكلة يكون بالسماح للشباب بالتعبير عن أفكاره،
والإصغاء باهتمام له، مع توجيهه للبرامج العامة
النافعة وحثه على التعايش في محيط سليم، مع مراعاة
جانب العبادة والصحبة الصالحة، ومد جسور التواصل
والتعاون مع الكبار من أهل الخبرات والتجارب النافعة.
يقول د. عبد الرحمن عيسوي: «ومن الوسائل العلمية
التي تساهم في حل هذه المشكلة (العمل على حل
مشكلات الشباب وتحريره مما يكبل طاقته من الأزمات
والصراعات، ومن موقف الاخفاق والاحباط ومن الشعور
باليأس والقنوط مع توفر الرعاية الدينية أو الروحية
والصحية والنفسية والاجتماعية والتعليمية».. اهـ.

الخلاصة:

إذا أخذ الشباب والشيوخ بهذا التوجيه العلمي والعملي
فسوق يمكن بإذن الله تعالى تقليل فجوة الخلاف
والقضاء ولو جزئياً على أسبابه والحد من آثاره على
المجمع المسلم.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله
وصحبه ومن والاه، وبعد:

أهمية تقويم الشخصية:

لقد عالج رسول الله صلى الله عليه وسلم بحكمة
وموعظة حسنة جيل الشباب في زمانه وقابل كل طائفة
بما يلائمها من علاج حتى استقامت النفوس وزكت
الأخلاق.

فهؤلاء الثلاثة نفر الذين سألوا عن عبادة النبي صلى
الله عليه وسلم فتقالوا فأرشدهم النبي صلى الله عليه
وسلم إلى الوسطية والاعتدال والتوازن بين عمل الدنيا
وعمل الآخرة وأخبرهم أن سنته أن يتزوج النساء، وأن
يصوم ويفطر ويصلي وينام.

ونصح أبا ذر رضي الله عنه أن ينأى عن تحمل المسئولية
وأخبره أنها أمانة، وأنها يوم القيامة خزي وندامة، فهذه
نماذج من السيرة العطرة تبين مدى أهمية متابعة العالم
الجليل لطلابه واتباعه في التربية والتعليم وتقويم
جوانب الشخصية فيهم.

ومن أمثلة ذلك ما جاء عن حنظلة رضي الله عنه حين
يشكو من ضعف الإيمان والفنور الذي يشعر به المؤمن
إذا خالط المال والعيال، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:
«وَالَّذِي بَنَسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدْرَمُونَ عَلَيَّ مَا تَكُونُونَ عِنْدِي
وَفِي الذِّكْرِ لَصَافِحَتِكُمُ الْمَلَانِكَةُ عَلَى فَرْشِكُمْ وَفِي طَرَفِكُمْ
وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةَ سَاعَةً وَسَاعَةً» (مسلم: ٧٤٢).

ومثله غرس الكمالات في نفس الحسن بن علي في حال
صغره حين غرس السؤدد وسلامة الصدر، ومحبة
اجتماع الكلمة والألفة بين الناس، والصلح بينهم، وحقن
دماء المسلمين بقوله: «إن ابني هذا سيد وسيصلح الله
تبارك وتعالى به بين فئتين».. (رواه أحمد: ٢٠٣٩٢).

وانتفع بجميع الطاقات، وحينما رأى أن أسامة فيه أهلية
القيادة نماها فيه، بل أجاب من طعن في إمرته، وخرج
وقد عصب على رأسه عصا وعلبه قطيفة وصعد المنبر
فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد: أيها الناس فما
مقالة بلغنني عن بعضكم في تأميري أسامة، ولئن طعنتم
في تأميري أسامة لقد طعنتم في تأميري أباه من قبله،
وايم الله إن كان لخليقاً وإن ابنه من بعده لخليق للإمارة،
وإن كان لمن أحب الناس إلي» (رواه مسلم ٢٤٢٦).

وهكذا إذا توفر للشباب المعلم الناصح والعالم والمتقن، فإنه



درر البحار في بيان ضعيف الأحاديث القصار



علي حشيش

إعداد /

الحلقة (٦٦)

٦١٥- «مَا رَفَعَ أَحَدٌ صَوْتَهُ بَغَاءً إِلَّا بَعَثَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَيْهِ بَشِيطَانَيْنِ يَجْلِسَانِ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، يَضْرِبَانِ بِأَعْقَابِهِمَا عَلَى صَدْرِهِ حَتَّى يُمْسِكَ».

الحديث لا يصح؛ خرجه وحققه الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٢/٢٨٢) وقال: «أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الملاح، والطبراني في «الكبير» وهو ضعيف».

قلت: لا بد من معرفة العلة والتي بها تعرف درجة هذا الضعف، فقد زلت بعدم المعرفة أقدام وضلت أفهام! فهذا الحديث أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الملاح» (ح ٤١)، والطبراني في «الكبير» (٨/٢٤١) (ح ٧٨٢) عن عبيد الله بن زحر، عن علي بن يزيد، عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعاً، قال الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢/٦٢): «عبيد الله بن زحر منكر الحديث جداً يروي الموضوعات عن الأثبات، وإذا روى عن علي بن يزيد أتى بالطامات، وإذا اجتمع في إسناده خبر عبيد الله بن زحر وعلي بن يزيد والقاسم أبو عبد الرحمن لا يكون متن هذا الخبر إلا مما عملت أيديهم، فلا يحل الاحتجاج بهذه الصحيفة».

قلت: وعلي بن يزيد قال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (٢٥٥): «منكر الحديث».

أهـ. قال محدث وادي النيل الشيخ أحمد شاكِر في «شرح اختصار علوم الحديث» (ص ٨٩): قول الإمام البخاري: «منكر الحديث» فإنه يراد به الكذابين؛ ففي «الميزان» للذهبي (١/٥): نقل ابن القطان: أن البخاري قال: «كل من قلت فيه «منكر الحديث» لا تحل الرواية عنه».

أهـ. وبهذا تستبين درجة الضعف فهو في أشدها، فالحديث موضوع.

٦١٦- «خلق الله الحور العين من الزعفران».

الحديث لا يصح؛ أخرجه الحافظ الطبراني في «الكبير» (٨/٢٣٧) (ح ٧٨١٣) عن عبد الله بن زحر عن علي بن يزيد، عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعاً، وهذا من الطامات التي أتى بها ابن زحر عن علي بن يزيد كما بينا آنفاً، وأخرج هذا الحديث أيضاً الطبراني في «الأوسط» (١/٢٠١) (ح ٢٨٩) من حديث أبي أمامة مرفوعاً، وفيه أحمد بن رشد بن رشدين قال الإمام الذهبي في «الميزان» (١/١٣٣/٥٣٨): أحمد بن محمد بن الحاج بن رشدين، قال ابن عدي: كذبوه».

أهـ.

٦١٧- «إِذَا اسْتَقَرَّ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ، قَالَتْ الْجَنَّةُ: يَا رَبِّ، أَلَيْسَ وَعَدْتَنِي أَنْ تَرْزُقَنِي بِرُكْنَيْنِ مِنْ أَرْكَانِكَ؟ قَالَ: أَوَلَمْ أَرْزُقْكَ بِالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ».

الحديث لا يصح؛ أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١/٢٢٥) (ح ٣٣٩) من حديث عقبة بن عامر الجهني، وعلمته أحمد بن رشدين، وأورد هذا الحديث الإمام الذهبي في «الميزان» (١/١٣٣/٥٣٨) وقال: هذا الحديث من أباطيل أحمد بن رشدين، وأقره الحافظ ابن حجر في «اللسان» (١/٢٨٠/٨٠٥).

٦١٨- «كَانَ إِبْلِيسُ أَوَّلَ مَنْ نَاحَ، وَأَوَّلَ مَنْ تَغَتَّى».

الحديث لا يصح؛ أورده الغزالي في «الإحياء» (٢/٢٨٢) عن جابر مرفوعاً بصيغة الجزم، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجد له أصلاً من حديث جابر».



٦١٩- «أفة الدين ثلاثة؛ فقيه فاجر، وإمام جائر، ومجتهد جاهل»-

الحديث لا يصح: أخرجه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٣٠٢/٢)، والديلمي في «مسند الفردوس» (ح٢٣٧- الغرائب الملتقطة) من حديث نهشل بن سعيد عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعاً، فالحديث غريب كما بين ذلك الحافظ ابن حجر في كتابه «الغرائب الملتقطة من مسند الفردوس»، والحديث منقطع، حيث إن الضحاك وهو ابن مزاحم، ذكره الإمام ابن أبي حاتم في «المراسيل» (١٥٢) بسنده عن شعبة قال: قلت لـمُشاش: الضحاك سمع من ابن عباس؟ قال: لا، ولا كلمة.. اهـ.

وهناك علة أخرى وهو نهشل بن سعيد القرشي الخراساني الترمذي ذكره الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٧٠٧٧/١٦٣/١٩) وقال: رُوِيَ عن الضحاك بن مزاحم وآخرين، قال أبو داود الطيالسي، وإسحاق بن راهويه: كذاب، وقال يحيى بن معين: ليس بشيء، ليس بثقة، وقال النسائي: متروك، ليس بثقة ولا يُكْتَبُ حديثه.. اهـ. وقال الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٥٢/٣): «كان ممن يروي عن الثقات ما ليس من أحاديثهم، لا يحل كتابة حديثه إلا على جهة التعجب».. اهـ.

٦٢٠- «شيطان لا أذكر فيهما؛ الذبيحة والعطاس، هما مُخْلِصَانِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»-

الحديث لا يصح: أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» (ح١٨٩٦- الغرائب الملتقطة) من حديث نهشل عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعاً، وهو حديث غريب منقطع كذبٌ مختلق مصنوع كما بينا آنفاً من حال نهشل وإرسال الضحاك.

٦٢١- «من صبر على سوء خُلقِ امرأته أعطاه الله من الأجر مثلاً أعطى أيوب على بلائه، ومن صبرت على سوء خُلقِ زوجها أعطاه الله مثل ثواب أسية امرأة فرعون»-

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٤٤/٢) مرفوعاً بصيغة الجزم، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أقف له على أصل».. اهـ.

٦٢٢- «طلب العلم ساعة خير من قيام ليلة، وطلب العلم يوماً خير من صيام ثلاثة أشهر»-

الحديث لا يصح: أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» (ح٢٠٠٨- الغرائب الملتقطة) من حديث نهشل عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعاً وهذا حديث غريب تالف؛ علته نهشل كذاب، والضحاك لم يسمع من ابن عباس كما بينا آنفاً.

٦٢٣- «تَعَسَ عَبْدُ الزَّوْجَةِ»-

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٤٦/٢) مرفوعاً بصيغة الجزم، وهي قوله: «وقد قال عليه السلام... الحديث، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أقف له على أصل، والمعروف «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم»، رواه البخاري من حديث أبي هريرة».. اهـ.

٦٢٤- «الْغَدُوُّ وَالرَّوْحُ فِي تَعْلَمِ الْعِلْمِ؛ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْإِجْهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»-

الحديث لا يصح: أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» (ح٢٠٩٠- الغرائب الملتقطة) من حديث نهشل عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعاً، وهذا حديث غريب تالف، ونهشل كذاب، والضحاك لم يسمع من ابن عباس؛ فالسند به سقط في الإسناد وطعن في الرواية؛ كما بينا آنفاً.

٦٢٥- «فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَنْتَقِلُ بَرْدُ الرُّومِ إِلَى الشَّامِ، وَبَرْدُ الشَّامِ إِلَى مِصْرَ»-

الحديث لا يصح: أورده الحافظ السخاوي في «المقاصد» (٧٤٩) وقال: «يجري على الألسنة كثيراً حتى سمعت شيخنا- يعني ابن حجر- يحكيه بقوله: «يقال مع الإفصاح بأنه لا أصل له».. وقد راجعت «أنس الشاتي في الزمن العاتي» لأبي سعد بن السمعاني، لظن حكايته عن أحد، فما وجدته».. اهـ.





باب فقه امرأة المسلمة

باب الطهارة

(الحلقة السادسة)

د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ فقالت: أحرورية أنت؟ قلت: لست بحرورية، ولكني أسأل، قالت: كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة-أخرجه البخاري (٣٢١)، ومسلم (٦٩-٣٣٥). (حرورية: طائفة من الخوارج).

قال ابن المنذر في الإجماع (ص: ٤٢): «وأجمعوا على أن الحائض لا صلاة عليها في أيام حيضتها، فليس عليها القضاء. وأجمعوا على أن عليها قضاء الصوم الذي تفتطره في أيام حيضتها في شهر رمضان».

ثانياً: إذا دخل وقت الصلاة ثم حاضت المرأة قبل أن تصلي فلا يجب عليها القضاء؛ ذلك أن الله تعالى جعل للصلاة وقتاً محدداً، وأباح لنا الصلاة في أول هذا الوقت وآخره، فإذا لم يتعين أول الوقت للوجوب، فلا يجب عليها القضاء؛ لأنه لو كانت الصلاة تجب بأول الوقت لكان من صلاحها في آخر وقتها قاضياً لها، أما بتأخيرها عن وقتها، وهذا خلاف ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم حيث صلى الصلاة في أول وقتها وفي آخر وقتها وقال للسائل الذي سأله عن مواقيت الصلاة: «مَا بَيْنَ مَا رَأَيْتَ وَقْتُ»؛ أخرجه مسلم (٦١٣).

كما أن الصحابييات في عهد رسول الله صلى الله

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فقد ذكرنا في الحلقة السابقة علامة الطهر من الحيض، ومتى يجوز إتيان الحائض إذا طهرت؟ وهل تحيض الحامل أم لا؟ ونستكمل- بإذن الله تعالى- ما يتعلق بالحيض من أحكام.

أولاً: يحرم على الحائض الصوم والصلاة؛

اتفق الفقهاء على أنه يحرم على الحائض الصوم والصلاة، ويجب عليها قضاء الصوم ولا تقضي الصلاة- تبيين الحقائق (٥٦/١)، بداية المجتهد (٦٢/١)، المجموع شرح المذهب (٣٥٤/٢)، الكافي لابن قدامة (١٣٤/١، ١٣٥).

واستدلوا على ذلك بما يأتي:

١- عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم»- أخرجه البخاري (١٩٥١)، ومسلم (٨٠) مطولاً.

٢- عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت فاطمة بنت أبي حبيش، إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، إني امرأة أستحاض فلا أطهر، أفأدع الصلاة؟ فقال: «لا، إنما ذلك عرق وليس بالحيضة فإذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة، وإذا أدبرت فاغسلي عنك الدم وصلي»- أخرجه البخاري (٢٢٨)، ومسلم (٣٣٣).

٣- عن معاذة قالت: سألت عائشة: ما بال



عليه وسلم كن يحضن في كل الأوقات ولم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم واحدة منهن بقضاء الصلاة التي فاتتها قبل نزول الحيض، ولو كان القضاء واجباً لأمرهن بذلك إذ لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة.

قال السرخسي في المبسوط (١٤٠/٢): «وإذا أدركها الحيض في شيء من الوقت وقد افتتحت الصلاة أو لم تفتتحها سقطت تلك الصلاة عنها، أما إذا حاضت بعد دخول الوقت فليس عليها قضاء تلك الصلاة إذا طهرت عندنا، لكننا نقول ما بقي شيء من الوقت فالصلاة لم تصر ديناً في ذمتها بل هي في الوقت عين، وإنما تعذر عليها الأداء بسبب الحيض وذلك غير موجب للقضاء، فأما بخروج الوقت فتصير الصلاة ديناً في ذمتها، والحيض لا يمنع كون الصلاة ديناً في ذمتها».

قال الكاساني في بدائع الصنائع (٩٥/١): «إذا حاضت في آخر الوقت أو نفست والعاقل إذا جن أو أغمي عليه والمسلم إذا ارتد- والعياذ بالله- وقد بقي من الوقت ما يسع الفرض لا يلزمهم الفرض عند أصحابنا؛ لأن الوجوب يتعين في آخر الوقت عندنا إذا لم يوجد الأداء قبله فيستدعي الأهلية فيه لاستحالة الإيجاب على غير الأهل ولم يوجد».

قال ابن حزم في المحلى (٣٩٤، ٣٩٥/١): «وان حاضت امرأة في أول وقت الصلاة أو في آخر الوقت ولم تكن صلت تلك الصلاة سقطت عنها، ولا إعادة عليها فيها... برهان قولنا: هو أن الله تعالى جعل للصلاة وقتاً محدوداً أوله وآخره، وصح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الصلاة في أول وقتها وفي آخر وقتها، فصح أن المؤخر لها إلى آخر وقتها ليس عاصياً؛ لأنه عليه السلام- لا يفعل المعصية، فإذا هي ليست عاصية فلم تتعين الصلاة عليها بعد، ولها تأخيرها، فإذا لم تتعين عليها حتى حاضت فقد سقطت عنها، ولو كانت الصلاة تجب بأول الوقت لكان من صلاحها بعد مضي مقدار تأديتها من أول وقتها قاضياً لها لا مصلحاً، وفاسقاً بتأخيرها عن وقتها، ومؤخراً لها عن وقتها، وهذا باطل لا

اختلاف فيه من أحد».

وهذا لا ينفي وجود خلاف في المسألة قال به بعض أهل العلم، وهو القول بوجوب القضاء على الحائض إذا حاضت بعد دخول الوقت وهو مذهب الشافعية والحنابلة ذلك أن الصلاة تعلقت بذمتها بدخول الوقت، وللمالكية تفصيل في القضاء، نهاية المحتاج (٣٩٧/١)، كشف القناع (٢٥٩/١).

ثالثاً: إذا طهرت الحائض قبل الفجر ونوت الصيام صح صومها بدون غسل ولا يتوقف صحتها على الغسل؛ والدليل على ذلك:

١- قوله تعالى: «وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ» (البقرة: ١٨٧): فلما أباح المباشرة إلى تبين الفجر، علم أن الغسل إنما يكون بعده- (المغني ١٤٩/٣).

٢- عن عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله، ثم يغتسل ويصوم- أخرجه البخاري (١٩٦٦)، ومسلم (١١٠٩).

فإذا كان الجنب يغتسل بعد الفجر ويصح صومه فكذا الحائض سواء بسواء- (المغني ١٤٩/٣). قال ابن قدامة في المغني (١٤٩/٣): «وكذلك المرأة إذا انقطع حيضها من الليل، فهي صائمة إذا نوت الصوم قبل طلوع الفجر، وتغتسل إذا أصبحت، وجملة ذلك أن الحكم في المرأة إذا انقطع حيضها من الليل، كالحكم في الجنب سواء، ويشترط أن ينقطع حيضها قبل طلوع الفجر؛ لأنه إن وجد جزء منه في النهار أفسد الصوم، ويشترط أن تنوي الصوم أيضاً من الليل بعد انقطاعه؛ لأنه لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل».

قال النووي في شرح مسلم (٢٢٣/٧): «وإذا انقطع دم الحائض والنفساء في الليل ثم طلع الفجر قبل اغتسالهما صح صومهما ووجب عليهما إتمامه سواء تركت الغسل عمداً أو سهواً بعذر أم بغيره كالجنب، هذا مذهبنا ومذهب العلماء كافة إلا ما حكى عن بعض السلف مما لا نعلم صح عنه أم لا قوله».

قال الحافظ في الفتح (٢٢٦/٤): «ومما يفرض



دل الحديث على نفي النجاسة عن المؤمن، ونفي النقيض يستلزم ثبوت نقيضه؛ لأنه ليس هناك إلا طهارة أو نجاسة، وهذا نص عام يدل على أن المؤمن لا ينجس لا بجنابة ولا حيض ولا غير ذلك.

٣- عن عائشة قالت: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أناوله الخمرة من المسجد فقلت: إني حائض، فقال: «تَنَاوَلِيهَا فَإِنَّ الْحَيْضَةَ لَيْسَتْ فِي يَدِكَ» أخرجه مسلم (٢٩٨).

وفي رواية أبي هريرة، فقال: «يَا عَائِشَةُ، نَاوَلِيَتِي الثُّوبَ فَقَالَتْ: إني حائض، فقال: إِنْ حَيْضَتِكَ لَيْسَتْ فِي يَدِكَ» - أخرجه مسلم (٢٩٩).

قالوا في هذا الحديث دليل على أن الحائض ليست نجسة.

٤- عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كنت أرجل رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا حائض» - أخرجه البخاري (٢٩٥)، ومسلم (٢٩٧).

فدل ذلك على أن الحائض طاهرة وليس بتنجسة. تعقيب وترجيح:

والذي تطمئن إليه النفس، وينشرح له الصدر هو ما ذهب إليه أئمة الفقه والحديث من جواز قراءة القرآن للحائض؛ وذلك لقوة أدلة المجيزين وضعف أدلة المانعين، ومن المعلوم أيضاً أن النساء كن يحضن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن يمنعهن من قراءة القرآن، ولو كانت قراءة القرآن للحائض غير جائزة لمنع النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك؛ إذ لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، هذا من حيث أدلة النقل، أما أدلة العقل، فتقتضي الأخذ بهذا القول؛ لأن القاعدة الأصولية تقول: «المشقة تجلب التيسير»، ومن المشقة أن تمنع امرأة من مراجعة ما معها من القرآن مدة حيضها، وكذا النساء أربعين يوماً، وربما أكثر، وهذا في الغالب يقضي إلى نسيان ما تحفظ، فيجلب لها المشقة في إعادة حفظ ما معها من القرآن فضلاً عن نقص الإيمان الذي يحدث إذا اجتمع عليها مع ترك الصلاة ترك تلاوة كتاب الله.

والله تعالى أعلم.

فيه بين الصوم والصلاة في حق الحائض أنها لو ظهرت قبل الفجر ونوت صومها في قول الجمهور ولا يتوقف على الغسل».

رابعاً: هل يجوز للحائض قراءة القرآن؟

للفقهاء في هذه المسألة قولان:

أحدهما: تحريم قراءة القرآن للحائض وإليه ذهب أبو حنيفة (المبسوط ١٥٢/٣) وكثير من الشافعية (المجموع ٣٥٦/٢) وهو المشهور من مذهب الإمام أحمد (الإتصاف ٣٢٧/١).

واستدلوا بحديث ضعفه أهل المعرفة بالحديث، وفيه أن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَقْرَأُ الْحَائِضُ، وَلَا الْجَنُبُ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ» ضعيف سنن أبي داود (١٣١)، وضعفه الحافظ ابن حجر في الفتح (٤٨٧/١) قال: وأما حديث ابن عمر مرفوعاً فضعيف من جميع طرقه - وضعفه شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٤٦٠/٢١) قال: هو ضعيف باتفاق أهل المعرفة بالحديث، وضعفه العلامة ابن باز، والعلامة الألباني وغيرهم.

الثاني: جواز قراءة القرآن للحائض، وهو ما ذهب إليه حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما، والإمام مالك (حاشية الدسوقي ١٧٤/١). والشافعي في قول (المجموع ٣٥٦/٢)، وقول في مذهب الإمام أحمد (المغني ١٢١/١) وابن حزم (المحلى ٩٤/١) وشيخ الإسلام ابن تيمية (مجموع الفتاوى ٤٦٠/٢١-٤٦١). وهو أيضاً قول الإمام البخاري وداود والإمام الطبري شيخ المفسرين وابن المنذر وغيرهم.

واستدلوا بما يأتي:

١- عندما حاضت عائشة قبل أعمال الحج قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «افْعَلِي كَمَا يَفْعَلُ الْحَاجُّ غَيْرَ أَنْ لَا تَطْوِي بِالْبَيْتِ حَتَّى تَطْهَرِي» - أخرجه البخاري (٣٠٥)، ومسلم (١٢١١).

ومن المعلوم أن الحاج يذكر الله، ويقرأ القرآن، فكذلك الحائض لها ذلك.

٢- قوله صلى الله عليه وسلم: «الْمُؤْمِنُ لَا يَنْجُسُ» - أخرجه البخاري (٢٨٥)، ومسلم (٣٧١).



لزوم الأدب قبل العلم

اعداد صلاح نجيب الدق

أَنْ يَكْتُبَ الْحَدِيثَ تَادِبٌ وَتَعَبْدٌ قَبْلَ ذَلِكَ بَعْشَرِينَ سَنَةً. (حلية الأولياء- لأبي نعيم الأصبهاني- ٣٦١/٦).

(٢) قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: قَالَ لِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: «نَحْنُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْأَدَبِ أَخَوْجُ مِنَّا إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْحَدِيثِ» (الجامع لأخلاق الراوي- للخطيب البغدادي ٨٠/١).

(٣) قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: إِذَا وَصَفَ لِي رَجُلٌ لَهُ عِلْمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَا أَتَأَسَّفُ عَلَى قُوَّةِ لِقَائِهِ، وَإِذَا سَمِعْتُ رَجُلًا لَهُ أَدَبُ النَّفْسِ أَتَمَنَّى

لِقَاءَهُ وَأَتَأَسَّفُ عَلَى قُوَّتِهِ. (الآداب الشرعية- محمد بن مفلح الحنبلي- ٥٥٢/٣).

(٤) قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: مَنْ تَهَاوَنَ بِالْأَدَبِ عُوقِبَ بِحِرْمَانِ السُّنَنِ. وَمَنْ تَهَاوَنَ بِالسُّنَنِ عُوقِبَ بِحِرْمَانِ الْفَرَائِضِ. وَمَنْ تَهَاوَنَ بِالْفَرَائِضِ عُوقِبَ بِحِرْمَانِ الْمَعْرِفَةِ. (الجامع لأخلاق الراوي- ٨٠/١).

(٥) قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ (ي) وَصَفَ خَالَ التَّابِعِينَ: «كَأَنَّا يَتَعَلَّمُونَ الْهَدْيَ كَمَا يَتَعَلَّمُونَ الْعِلْمَ» (الجامع لأخلاق الراوي- ٧٩/١).

(٦) قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ لَفَتِي مِنْ قُرَيْشٍ: يَا ابْنَ أَخِي تَعَلَّمَ الْأَدَبَ قَبْلَ أَنْ تَتَعَلَّمَ الْعِلْمَ. (حلية الأولياء- لأبي نعيم الأصبهاني- ٣٣٠/٦).

(٧) وَقَالَ أَيْضًا: حَقًّا عَلَى مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ وَخَشْيَةٌ، وَأَنْ يَكُونَ مُتَّبِعًا لِأَثَرٍ مِنْ مَضَى قَبْلِهِ. (الجامع لأخلاق الراوي-

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَرِيمِ الْمَنَّانِ، ذِي الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ، الَّذِي هَدَانَا لِلْإِيمَانِ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، الَّذِي أَرْسَلَهُ رَبُّهُ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِأَذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْأَدَبَ هُوَ زِينَةُ طُلَّابِ الْعِلْمِ الْكَرَامِ. فَاقُولُ وَبِاللَّهِ تَعَالَى التَّوْفِيقُ:

معنى الأدب:

الأدب: الأخذ بمكارم الأخلاق.

منزلة الأدب:

قال الإمام ابن القيم: أدب المرء: عنوان سعادته وفلاحه. وقلة أدبه: عنوان شقاوته ويواره. فَمَا اسْتَجْلِبَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِمَثَلِ الْأَدَبِ، وَلَا اسْتَجْلِبَ حُرْمَانَهُمَا بِمَثَلِ قِلَّةِ الْأَدَبِ. (مدارج السالكين- ٣٦٨/٢).

نبينا صلى الله عليه وسلم ميزان الأدب

لقد مدح الله تعالى نبينا محمد قائلًا له: (وَأَنْتَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ) (القلم: ٤).

عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ: أَخْبِرِيْنِي عَنْ خَلْقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَتْ: كَانَ خَلْقُهُ الْقُرْآنَ. (حديث صحيح؛ مسند أحمد- ١٨٣/٤٢).

وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْمِيزَانُ الْأَكْبَرُ، فَعَلَيْهِ تَعَرَّضُ الْأَشْيَاءُ، عَلَى خَلْقِهِ وَسِيرَتِهِ وَهَدْيِهِ، فَمَا وَافَقَهَا فَهُوَ الْحَقُّ، وَمَا خَالَفَهَا فَهُوَ الْبَاطِلُ» (الجامع لأخلاق الراوي- للخطيب البغدادي- ٧٩/١).

حرص السلف على الأدب قبل العلم:

(١) قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: كَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَرَادَ





(١٥٦/١).

(٨) وَقَالَ كَانَ

ابْنُ سِيرِينَ قَدْ مَرَضَ
وَتَخَلَّفَ عَنِ الْحَجِّ فَكَانَ

يَأْمُرُ مَنْ يَحُجُّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى
هَذِي الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ،

وَلِبُوسِهِ، وَنَاحِيَّتِهِ، فَيُبَلِّغُوهُ
ذَلِكَ، فَيَقْتَدِيَ بِالْقَاسِمِ. (سير

أعلام النبلاء- ٥/٥٧).

(٩) قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: مَا نَقَلْنَا مِنْ أَدَبٍ

مَالِكٍ، أَكْثَرَ مِمَّا تَعَلَّمْنَا مِنْ عِلْمِهِ. (المصدر

السابق- ٨/١١٣).

(١٠) قَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيٍّ: كَانَ يَجْتَمِعُ فِي

مَجْلِسِ أَحْمَدَ نَحْوَ خَمْسَةِ آلَافٍ- أَوْ يَزِيدُونَ، نَحْوُ
خَمْسِ مِائَةٍ- يَكْتُبُونَ، وَالْبَاقُونَ يَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ

حُسْنَ الْأَدَبِ وَالسَّمْتِ. (نفس المصدر- ١١/٣١٦).

(١١) كَانَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ

يُرْجِلُونَ إِلَيْهِ فَيَنْظُرُونَ إِلَى سَمْتِهِ (حسن
الهيئة) وَهَذِيهِ (السكينة وَالْوَقَار) فَيَتَشَبَّهُونَ

بِهِ. (غريب الحديث- ١/٣٨٤).

(١٢) قَالَ عَبَّاسُ الْعَنْبَرِي: كَانُوا يَكْتُبُونَ قِيَامَ

عَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِيِّ (شيخ البخاري) وَقَعُودَهُ وَلِبَاسَهُ،
وَكُلَّ شَيْءٍ يَقُولُ وَيَفْعَلُ أَوْ نَحْوَ هَذَا. (تاريخ

بغداد- ١٣/٤٢١).

(١٣) قَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: «كَانُوا إِذَا أَتَوْا

الرَّجُلَ لِيَأْخُذُوا عَنْهُ نَظَرُوا إِلَى سَمْتِهِ وَإِلَى
صَلَاتِهِ وَإِلَى خَالِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُونَ عَنْهُ» (الجامع

لأخلاق الراوي- ١/٢٨٠).

(١٤) قَالَ أَيْضًا: كُنَّا إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَأْخُذَ عَنْ شَيْخٍ

سَأَلْنَاهُ عَنْ مَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ وَمَذْخَلِهِ وَمَخْرَجِهِ،
فَإِنْ كَانَ عَلَى اسْتِوَاءٍ أَخَذْنَا عَنْهُ وَلَا لَمْ نَأْتِهِ.

(الكامل في ضعفاء الرجال- للرجرجاني- ١/٢٦٠).

(١٥) قَالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ: الْوَاجِبُ أَنْ

يَكُونَ طَلِبَةُ الْحَدِيثِ أَكْمَلَ النَّاسِ أَدَبًا، وَأَشَدَّ
الْخُلُقِ تَوَاضُعًا، وَأَعْظَمَهُمْ نَزَاهَةً وَتَدَبُّعًا، وَأَقْلَهُمْ

طَبِيشًا وَغَضَبًا، لِدَوَامِ قِرْعِ أَسْمَاعِهِمْ بِالْأَخْبَارِ
الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى مَحَاسِنِ أَخْلَاقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَدَابِهِ، وَسِيرَةِ السَّلَفِ الْأَخْيَارِ

مَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَطَرَائِقِ الْمُحَدِّثِينَ،
وَمَآثِرِ الْمَاضِينَ، فَيَأْخُذُوا بِأَجْمَلِهَا وَأَحْسَنِهَا،
وَيَصْدُقُوا (يَبْتَغُوا) عَنْ أَرْذَلِهَا وَأَذْوَنِهَا. (الجامع

لأخلاق الراوي- ١/٧٨).

صور من أدب العلماء:

(١) قَالَ طَاوُؤُسُ بْنُ كَيْسَانَ: «مِنَ السُّنَّةِ أَنْ

يُوقَرَ الْعَالِمُ» (جامع بيان العلم- لابن عبد البر-
١/٥١٩).

(٢) قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: رُئِيَ ابْنُ عَبَّاسٍ

يَأْخُذُ بِرِكَابِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، فَقِيلَ لَهُ: «أَنْتَ ابْنُ عَمِّ
رَسُولِ اللَّهِ تَأْخُذُ بِرِكَابِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ» فَقَالَ:

«إِنَّهُ يَنْبَغِي لِلْخَبَرِ أَنْ يُعْظَمَ وَيُشْرَفَ» (الجامع

لأخلاق الراوي- ١/١٠٨).

(٣) قَالَ عَامِرُ الشَّعْبِيِّ: «أَمْسَكَ ابْنُ عَبَّاسٍ

بِرِكَابِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، فَقَالَ: «أَتَمْسُكَ لِي وَأَنْتَ ابْنُ
عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟» قَالَ: «إِنَّا

هَكَذَا نَصْنَعُ بِالْعُلَمَاءِ» (المصدر السابق- ١/١٠٨).

(٤) قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: كَانَ

يُحْيِي بَنَ سَعِيدٍ يُجَالِسُ رَبِيعَةَ بْنَ أَبِي عَبْدِ
الرَّحْمَنِ التَّمِيمِي، فَإِذَا غَابَ رَبِيعَةُ، حَدَّثَهُمْ يَحْيَى

أَحْسَنَ الْحَدِيثِ- وَكَانَ كَثِيرَ الْحَدِيثِ- فَإِذَا حَضَرَ
رَبِيعَةُ، كَفَّ يَحْيَى إِجْلَالًا لِرَبِيعَةَ، وَلَيْسَ رَبِيعَةُ

أَسَنَ مِنْهُ، وَهُوَ فِيمَا هُوَ فِيهِ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا
مُبْجَلًا لِصَاحِبِهِ. (سير أعلام النبلاء- ٦/٩٢).

(٥) قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ: كُنْتُ مَعَ أَحْمَدَ

وَإِسْحَاقَ عِنْدَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، فَجَاءَنَا يَوْمَ الْفِطْرِ،
فَخَرَجْنَا مَعَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ إِلَى الْمُصَلَّى، وَمَعَنَا نَاسٌ

كَثِيرٌ، فَلَمَّا رَجَعْنَا، دَعَانَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ إِلَى الْغَدَاءِ،
ثُمَّ قَالَ لِأَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ: رَأَيْتَ الْيَوْمَ مِنْكُمْ

عَجَبًا، لَمْ تَكْبُرَا فَقَالَ أَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ: يَا أَبَا
بَكْرٍ! كُنَّا نَنْتَظِرُ هَلْ تَكْبُرُ، فَتَكْبُرُ، فَلَمَّا رَأَيْنَاكَ

لَمْ تَكْبُرْ، أَمْسَكْنَا. قَالَ: وَأَنَا كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَيْكُمَا، هَلْ
تَكْبُرَانِ، فَاتَكْبُرُ. (المصدر السابق- ٩/٥٦٦)

(٦) قَالَ الثَّوْرِيُّ: عَنْ أَبِيهِ، سَمِعَ أَبَا وَائِلٍ

سُئِلَ: أَنْتَ أَكْبَرُ أَوْ الرَّبِيعُ بْنُ خَثِيمٍ؟ قَالَ: أَنَا أَكْبَرُ
مِنْهُ سَنًا، وَهُوَ أَكْبَرُ مِنِّي عَقْلًا. (نفس المصدر-
٤/١٦٣).

(٧) قَالَ شُعْبَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ: «حَدَّثَنِي سَيِّدُ

الْفُقَهَاءِ أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ» (الجامع لأخلاق



(الراوي - ٨٦/٢).

(٨) قَالَ حَاشِدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ: كُنْتُ بِالْبَصْرَةِ، فَسَمِعْتُ قُدُومَ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ بَنْدَارُ: الْيَوْمَ دَخَلَ سَيِّدُ الْفُقَهَاءِ. (سير أعلام النبلاء - ٤٢٢/١٢).

(٩) جَاءَ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ، إِلَى الْبُخَارِيِّ فَقَالَ: دَعْنِي أَقْبِلَ رَجُلِيكَ يَا أَسْتَاذَ الْأَسْتَاذِينَ، وَسَيِّدَ الْمُحَدِّثِينَ، وَطَبِيبَ الْحَدِيثِ فِي عِلَلِهِ. (المصدر السابق - ٤٣٢/١٢).

(١٠) لما دخل عز الدين بن عبد السلام مصر بالغ الشيخ زكي الدين المنذري في الأدب معه، وامتنع من الإفتاء لأجله، وقال: كنا نعتي قبل حضوره، وأما بعد حضوره فمنصب الفتيا متعين فيه. (حسن المحاضرة - للسيوطي ٣١٥/١).

مصاحبة العلماء:

ملازمة العلماء مدة طويلة من أفضل الوسائل لطلب الأدب والعلم.

(١) عَنِ الْأَعْرَجِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، يَكْثُرُ الْحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاللَّهُ الْمُؤَعَّدُ، كُنْتُ رَجُلًا مَسْكِينًا، أَخْدَمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مِلءِ بَطْنِي، وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ يَشْغَلُهُمُ الْقِيَامُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَبْسُطْ ثَوْبَهُ فَلَنْ يَنْسَى شَيْئًا سَمِعَهُ مِنِّي» فَبَسَطْتُ ثَوْبِي حَتَّى قَضَى حَدِيثَهُ، ثُمَّ ضَمَمْتُهُ إِلَيَّ، فَمَا نَسِيتُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْهُ. (البخاري - حديث ٧٣٥٤/مسلم حديث: ٢٤٩٢).

قَوْلُهُ: (وَاللَّهُ الْمُؤَعَّدُ) مَعْنَاهُ فَيَحَاسِبُنِي إِنْ تَعَمَّدْتَ كَذِبًا وَيَحَاسِبُ مَنْ ظَنَّ بِي السُّوءَ.

قَوْلُهُ: (عَلَى مِلءِ بَطْنِي) أَيِ الْأَزْمَةِ وَأَقْنَعُ بِقُوَّتِي وَلَا أَجْمَعُ مَالًا لِدُخِيرَةٍ وَلَا غَيْرَهَا وَلَا أَزِيدُ عَلَى قُوَّتِي.

قَوْلُهُ: (الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ) أَيِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ بِالْأَسْوَاقِ. (مسلم شرح النووي - ٥٣/١٦).

(٢) قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: صَحِبْتُ حَمَادَ بْنَ أَبِي سُلَيْمَانَ، ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً. (تاريخ بغداد - للخطيب البغدادي - ٤٤٤/١٥).

(٣) قَالَ

مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ:
كَانَ الرَّجُلُ يَخْتَلِفُ
(يَتَرَدَّدُ) إِلَى الرَّجُلِ
ثَلَاثِينَ سَنَةً يَتَعَلَّمُ
مِنْهُ. (سير أعلام
النبلاء - ١٠٨/٨).

(٤) وَقَالَ أَيْضًا: جَالَسَ
نُعَيْمَ الْمُجَمَّرَ أَبَا هُرَيْرَةَ
عَشْرِينَ سَنَةً. (المصدر السابق -
١٠٨/٨).

(٥) قَالَ ثَابِتُ الْبُنَّانِي: صَحِبْتُ
أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ أَرْبَعِينَ سَنَةً مَا رَأَيْتُ عَبْدًا
مِنْهُ! (نفس المصدر - ٢٢٢/٥).

(٦) قَالَ نَافِعُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: جَالَسْتُ مَالِكًَا
أَرْبَعِينَ سَنَةً أَوْ خُمْسًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً. كُلُّ يَوْمٍ
أَبْكُرُ وَأَهْجُرُ وَأَرْوَحُ. (حلية الأولياء - لأبي نعيم
الأصبهاني - ٣٢٠/٦).

(٧) قَالَ ابْنُ حَبَانَ: كَانَ حَامِدُ بْنُ يَحْيَى
الْبَلْخِيُّ مِمَّنْ أَفْنَى عَمْرَهُ بِمَجَالَسَةِ سُفْيَانَ بْنِ
عُيَيْنَةَ. (الثقات - لابن حبان - ٢١٨/٨).

بركات مصاحبة العلماء:

قال عبد الله بن أبي موسى التستري: قيل
لي: حيث ما كنت، فكان قرب فقيهه. فأتيت بيروت
إلى الأوزاعي. فبينما أنا عنده إذ سألتني عن أمري
فأخبرته، فقال لي ألك أب؟ قلت: نعم، تركته
بالعراق مجوسياً. قال فهل لك أن ترجع إليه لعل
الله أن يهديه على يديك. قلت ترى لي ذلك؟
قال: نعم. فأتيت أبي فوجدته مريضاً. فقال لي:
يا بني أي شيء أنت عليه؟ فأخبرته أنني أسلمت.
فقال لي أعرض علي دينك؟ فأخبرته بالاسلام
وأهله. قال فإني أشهد أنني قد أسلمت. فمات
في مرضه ذلك فدفنته ورجعت إلى الأوزاعي
فأخبرته. (تاريخ دمشق - لابن عساكر - ٣٣/
٢٣١). فهذا من بركة العلم.

التحذير من الطعن في العلماء:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي
وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ (أَعْلَمْتُهُ) بِالْحَرْبِ. (البخاري



حديث: (٦٥٠٢).

قَوْلُهُ: (مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا) الْمُرَادُ بَوْلِي اللَّهِ؛ هُوَ الْعَالَمُ بِاللَّهِ الْمُوَظَّبُ عَلَى طَاعَتِهِ الْمُخْلِصُ فِي عِبَادَتِهِ.

قَوْلُهُ: عَادَى لِي وَلِيًّا، أَيِ اتَّخَذَهُ عَدُوًّا. (فتح الباري- لابن حجر العسقلاني- ٣٤٣/١١)

فكيف حال من رمى أهل العلم بكل نقیصة وبحث عن زلاتهم جهده ١٩

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا، فَلَيْسَ مِنَّا» (حديث صحيح: صحيح الأدب المفرد للألباني- ص- ١٤٢).

الْعُلَمَاءُ الْعَامِلُونَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَصَفْوَةُ الْأَوْلِيَاءِ

قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ: «إِنْ لَمْ يَكُنْ الْفُقَهَاءُ الْعَامِلُونَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ وَلِيٌّ». (سير أعلام النبلاء- ٥٣/١٠).

قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: مَنْ اسْتَخَفَّ بِالْعُلَمَاءِ، ذَهَبَتْ آخِرَتُهُ. (المصدر السابق- ٤٠٨/٨)

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّحَاوِيُّ: عُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ- أَهْلُ الْخَيْرِ وَالْأَثَرِ، وَأَهْلُ الْفَقْهِ وَالنَّظَرِ- لَا يَذْكُرُونَ إِلَّا بِالْجَمِيلِ، وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فَهُوَ عَلَى غَيْرِ السَّبِيلِ). (شرح العقيدة الطحاوية- ٥٠٣/١).

قَالَ الْحَافِظُ الْإِمَامُ ابْنُ عَسَاكِرَ: أَعْلَمُ يَا أَخِي وَفَقَّكَ اللَّهُ وَإِيَانًا، وَهَذَاكَ سَبِيلُ الْخَيْرِ وَهَدَانَا أَنْ لِحُومَ الْعُلَمَاءِ مَسْمُومَةٌ. وَعَادَةُ اللَّهِ فِي هَتِكَ مُنْتَقِصَتُهُمْ مَعْلُومَةٌ، لِأَنَّ الْوَقِيعَةَ فِيهِمْ يَمَّا هُمْ مِنْهُ بَرَاءٌ أَمْرُهُ عَظِيمٌ وَالتَّنَاوُلُ لَأَعْرَاضِهِمْ بِالزُّورِ وَالْإِفْتِرَاءِ مَرْتَعٌ وَخِيمٌ وَالْإِخْتِلَاقُ عَلَى مَنْ اخْتَارَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ لِنَعَشِ الْعِلْمِ خَلْقٌ ذَمِيمٌ. (تبيين كذب المفتري- لابن عساكر- ص- ٢٩).

وَقَالَ أَيْضًا: كُلُّ مَنْ أَطْلَقَ لِسَانَهُ فِي الْعُلَمَاءِ بِالنُّثْبِ (الطعن) ابْتِلَاةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ مَوْتِهِ بِمَوْتِ الْقَلْبِ (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ؛ النور: ٦٣). (المصدر السابق- ص- ٤٢٥).

أضرار الطعن في العلماء

يمكن أن نوجز أضرار الطعن في العلماء في

الأمور التالية:

(١) الطعن في

العالم سبب في رد ما يقوله من الحق.

إن جرح العالم

ليس جرحاً شخصياً،

كأي جرح في رجل عامي،

ولكنه جرح يبلغ الأثر،

يتعدى الحدود الشخصية،

إلى رد ما يحمله العالم من

الحق. ولذلك استغل المشركون

من قريش هذا الأمر، فلم يطعنوا

في الإسلام أولاً، بل طعنوا في شخص

الرسول- صلى الله عليه وسلم-؛ لأنهم

يعلمون- يقيناً- أنهم إن استطاعوا أن يشوهوا

صورة الرسول- صلى الله عليه وسلم- في أذهان

الناس؛ فلن يقبلوا ما يقوله من الحق، قالوا:

إنه ساحر، كاهن، مجنون، ولكنهم فشلوا- والله

الحمد- في ذلك.

(٢) الطعن في العالم يعتبر طعناً في العلم

الذي معه.

العلم الذي يحمله العالم هو ميراث النبي-

صلى الله عليه وسلم- إذ العلماء ورثة الأنبياء؛

فجرح العالم جرح للنبي- عليه الصلاة والسلام-

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «مَنْ آذَى فَقِيهًا فَقَدْ آذَى

رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى إِلَهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَنْ آذَى رَسُولَ

اللَّهِ فَقَدْ آذَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ» (الفقيه والمتفقه-

للخطيب البغدادي ١/ ١٤٣).

وعلى ذلك فمن يطعن في العلماء فهو يطعن

في الإسلام من حيث لا يشعر.

(٣) الطعن في العلماء يؤدي إلى ابتعاد طلاب

العلم عن علماء الأمة، وحينئذ يسير الطلاب في

طريقهم بدون مرشدين؛ فيتعرضون للأخطاء

والأخطاء، ويقعون في الشطط والزلل.

(٤) الطعن في العلماء تقليل لهم في نظر

عامة الناس، وهذا يؤدي إلى ذهاب هيبتهم،

وقيمتهم في صدورهم.

وَأَجْرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

طرق علاج الانفعال الزائد

الحلقة الأولى

د. ياسر لحي عبد المنعم



الحديث، تفيد أنه بمجرد حدوث الغضب يبدأ الجسم في التحول إلى حالة مزرية.

وأكدت الدراسات أن هذا التوتر القوي يهز الجسم بعمق، فيضعف فيه المناعة الداخلية بشكل ملحوظ، وقد يسبب هذا موت الضجأة الذي أخبرنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بأنه يكثر آخر الزمان، لكثرة دواعي الغضب ومسبباته.

الموضوع لم ينته، بل تبقى التقنية المناسبة لمواجهة الغضب بعد وقوعه، وذلك بتنفيذ الطرق الآتية:

الطريقة الأولى: الوقاية

يُوصي الرسول صلى الله عليه وسلم بدرء الغضب من بدايته، وتعويد النفس على منعه، أو تخفيفه، ومن ذلك أيضاً: إزالة مسببات الغضب والعمل على علاج البواعث المؤدية للغضب، كما ذكرنا وأهمها الكبر والعجب، وهي:

١- تذكير النفس بالعواقب والآثار المترتبة على التكبر، سواء كانت عواقب ذاتية، أو متصلة بالعمل الإسلامي، وسواء كانت دنيوية، أو أخروية، فلهذا التذكير يحرك النفس في أعماقها، ويحملها على أن تتوب، وتتدارك أمرها، قبل ضياع العمر وفوات الأوان.

٢- عيادة المرضى، ومشاهدة المحتضرين، وأهل البلاء، وتشجيع الجنائز، وزيارة القبور، فلهذا ذلك أيضاً يحرك القاضب من داخله، ويجعله يرجع إلى

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم

أمور مهمة قبل البدء في علاج الانفعال والغضب:

أولاً: نقتنا بقدرتنا على التغيير، وطلب العون من الله تعالى، وكثرة الدعاء، فنحن لا نستطيع أن نغير الآخرين، أو أن نتجنب الظروف التي تسبب الضيق، لكننا نملك أنفسنا ونستطيع أن نديرها، ونتحكم في ردود أفعالها، بما يعود علينا بالنفع.

ثانياً: إيجاد الجو الصحي المناسب، وطلب المساعدة والمعونة من الأهل، ونحن بدورنا نحتاج إلى التشجيع، وسماع التعزية والتصبر من الآخرين، وكذلك نحتاج إلى من يستمع إلينا ليخفف عنا ما نعانیه لنكف عن الغضب ونكظم الغيظ.

ثالثاً: الصبر على ما يواجهنا من صعوبات في مراحل العلاج، خصوصاً في الأيام الأولى من التصبر، فتحصيل الخير دائماً لا بد فيه من مشقة ومجاهدة للنفس.

رابعاً: إعطاء الفترة العلاجية المدة الزمنية اللازمة، دون استعجال للنتائج، وعلماء النفس يحددون هذا الوقت من ثلاثين إلى أربعين يوماً كمتوسط كاف لتغيير السلوكيات.

خامساً: الصدق مع النفس والتقليب داخلها؛ بحثاً عن أسباب الغضب الحقيقية، فقد تكون الأسباب خفية، ففي الغالب هناك سبب نفسي أو تربوي يجب أن نبحت عنه ولا نغفله.

سادساً: معرفة عاقبة الغضب الوخيمة على النفس والبدن، فالدراسات الطبية والنفسية



ربه بالإخبار، والتواضع.

٣- الانسلاخ من صفة المتكبرين، ومصادقة المتواضعين الخبيثين، فربما تعكس هذه الصفة بمرور الأيام شعاعها عليه، فيعود له سناؤه وضيأؤه الفطريان، كما كان عند ولادته.

٤- مجالسة ضعاف الناس وفقرائهم، وذوي العاهات منهم، بل ومواكلتهم ومشاربتهم، كما كان يصنع النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام، وكثير من السلف، فإن هذا مما يهذب النفس، ويجعلها تطلع عن غيها، وتعود إلى رشدها.

٥- التفكير في النفس، وفي الكون، بل وفي كل النعم التي تحيط به، من أعلاه إلى أدناه، من مصدر ذلك كله؟ ومن ممسكه؟ وبأي شيء استحقه العباد؟ وكيف تكون حالنا لو سلبت منا نعمة واحدة.. فضلا عن باقي النعم؟ فإن ذلك التفكير لو كانت معه جدية، يحرك النفس، ويجعلها تشعر بخطر ما هي فيه، إن لم تبادر بالتوبة والرجوع إلى ربها.

٦- النظر في سير وأخبار المتكبرين.. كيف كانوا؟ وإلى أي شيء صاروا؟ في كل العصور والبيئات، فإن ذلك مما يخوف النفس، ويحملها على التوبة والإقلاع؛ خشية أن تصير إلى نفس المصير، وإن في كتاب الله تعالى، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وكتب التراجم، والتاريخ، خير ما يعين على العبرة والعظة.

٧- حضور مجالس العلم التي يقوم عليها علماء ثقات نابھون، لا سيما مجالس التذكير والتزكية، فإن هذه المجالس لا تزال بالقلوب حتى ترقى وتلين، وتعود إليها الحياة من جديد.

٨- حمل النفس على ممارسة بعض الأعمال التي يتأفف منها كثير من الناس ممارسة ذاتية ما دامت مشروعة.

٩- الاعتذار لمن تعالى وتناول عليهم بسخرية أو استهزاء، بل ووضع الخد على التراب والصاقة به، وتمكينه من القصاص على نحو ما صنع أبو ذر مع بلال، لما عاب عليه النبي صلى الله عليه وسلم تعبيره بسواد أمه.

١٠- تذكير الآخرين بنعمة الله عليهم، وتحذيرهم بها، لا سيما أمام المستكبرين- عسى أن يثوبوا إلى رشدهم وصوابهم، ويتوبوا ويرجعوا إلى ربهم، قبل

أن يأتيهم أمر الله.

١١- التذكير دوماً بمعايير التفاضل، والتقدم في الإسلام: «إن أكرمكم عند الله أتقاكم» (الحجرات: ١٣)، «كلكم بنو آدم، وآدم من تراب، ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان». رواه أبو داود (٥١١٦).

١٢- المواظبة على الطاعات؛ فإنه إذا واطب عليها، وكانت متقنة لا يراد بها إلا وجه الله، ظهرت النفس من كل الرذائل وزكته. (آفات على الطريق- سيد محمد نوح- ص ١٨٠- بتصرف).

الطريقة الثانية: كظم الغيظ والصبر

وهي مقاومة داخلية لإضعاف انفعال الغضب، وتهديته وتعويد النفس على امتصاص الغضب، وإمساك النفس على ما فيها من الغيظ، ففي حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من جرعة أعظم أجراً عند الله من جرعة غيظ، كظمها عبد ابتغاء وجه الله». (أخرجه ابن ماجه (١٨٩)).

العلاج بالكظم: وهي مقاومة داخلية لإضعاف انفعال الغضب وتهديته وتعويد النفس على امتصاص الغضب، وإمساك النفس على ما فيها من الغيظ قال تعالى: «الَّذِينَ يُغَيِّظُونَ فِي الْفِتْنَةِ وَالْمَرْءَ وَالْمَرْءَ الَّذِينَ يُغَيِّظُونَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» (آل عمران: ١٣٤). قوله: «والكاظمين الغيظ» أي: إذا حصل لهم من غيرهم أذية توجب غيظهم- وهو امتلاء قلوبهم من الحنق، المفضي للانتقام بالقول والفعل- هؤلاء لا يعملون بمقتضى الطباع البشرية، بل يكظمون ما في القلوب من الغيظ، ويصبرون على مقابلة المسيء إليهم. (تيسير الكريم الرحمن- السعدي ١/١٤٨).

وقال ابن كثير في تفسيره للآية: (أي: سجيتهم وخلقهم وطبعهم، تقتضي الصفح والعفو عن الناس، ليس سجيتهم الانتقام من الناس). (تفسير القرآن العظيم- ابن كثير ١/٢١٠).

وقال تعالى: «وَالَّذِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَيُحِبُّونَ الْأَخْلَاقَ، وَمَحَاسِنَ الشَّيْمِ، فَصَارَ الْحِلْمُ لَهُمْ سَجِيَّةً، وَحَسَنَ الْخُلُقِ لَهُمْ طَبِيعَةً، حَتَّى إِذَا أَغْضَبَهُمْ أَحَدٌ بِمَقَالِهِ أَوْ فَعَالِهِ، كَظَمُوا ذَلِكَ الْغَضَبَ فَلَمْ



ينفذوه، بل غفروه، ولم يقابلوا المسيء إلا بالاحسان والعفو والصفح، فترتب على هذا العفو والصفح من المصالح ودفع المفسد في أنفسهم وغيرهم شيء كثير. (تيسير الكريم الرحمن- السعدي ٧٥٩/١).

ومما يساعد المسلم على حسن إدارة غضبه والتدرج في علاجه: الصبر واحتمال الأذى في ذات الله تعالى، وتعويد النفس على الاستجابة والخضوع للحق، وتذكر النماذج الحليمة الصابرة المتواضعة، واقتناع النفس بما يقتضيه العقل والمنطق، ومعرفة المخاطر الصحية لكثرة الغضب، ومناقشة الأفكار غير المنطقية وتصحيحها.

والصبر: هو حبس النفس، ويقال: صبرت نفسي على ذلك الأمر أي حبستها. والتصبر: تكلف الصبر. ومن لم يُرزق خلق الصبر المحمود فإنه عليه أن يدرب نفسه على الصبر في المواقف المختلفة ومن أهمها عند الغضب، ويتكلف ذلك مراراً، ويستعد نفسياً لمواجهة أنواع البلاء ويوطن نفسه على ذلك مستعيناً بالله «وما صبرك إلا بالله»؛ لأنه بغير الاستعانة بالله لن يستطيع شيئاً لأن الله تعالى إن لم ييسره لم يتيسر، وهو مع ذلك كله يتوسل بالعمل الصالح عامة وبالصبر والصلاة خاصة، محاولاً بلا ملل أن يكون من الصابرين، فإن أخفق مرة فليحاول مرة ومرة بلا يأس وليجاهد نفسه على ذلك، مستعيناً بطلب العلم فيما يتعلق بعاقبة الصبر في الدنيا والآخرة، وبالسيرة النبوية وسير الصحابة فهذا هو التصبر الذي يُرزق به الصبر. فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: إن ناساً من الأنصار، سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفذ ما عنده، فقال: (ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر). (أخرجه البخاري (١٤٠٠)).

ومن مواقف النبي صلى الله عليه وسلم في الصبر واحتمال الأذى: حديث خروجه صلى الله عليه وسلم من الطائف، وقد ردوه شر ردد.. تقول عائشة رضي الله عنها: إنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد؟ قال: (لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على

وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلنتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال، لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم علي، ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئاً) (أخرجه البخاري (٣٠٥٩)).

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: أرسلت ابنة النبي صلى الله عليه وسلم إليه: إن ابناً لي قبض فانتنا، فأرسل يقرئ السلام، ويقول: (إن له ما أخذ وله ما أعطى، وكل عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب). (أخرجه البخاري (١٢٢٤)).

وعن صهيب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير. وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن. إن أصابته سراء شكر. فكان خيراً له. وإن أصابته ضراء صبر. فكان خيراً له». (أخرجه مسلم (٢٩٩٩)).

قال ابن تيمية- رحمه الله تعالى-: (ما تجرع عبد جرعة أعظم من جرعة حلم عند الغضب، وجرعة صبر عند المصيبة؛ وذلك لأن أصل ذلك هو الصبر على المؤلم، وهذا هو الشجاع الشديد الذي يصبر على المؤلم، والمؤلم إن كان مما يمكن دفعه أثار الغضب، وإن كان مما لا يمكن دفعه أثار الحزن؛ ولهذا يحمر الوجه عند الغضب لثوران الدم عند استئثار القدرة، ويصفّر عند الحزن لغور الدم عند استئثار العجز). (الإمام ابن تيمية- الاستقامة ٢/٢٧٧).

فيجب على المسلم العمل على ترويض النفس، وتربيتها بين الحين والآخر على التحلي بفضائل الأخلاق، وكريم السجايا، وحميد الصفات؛ حتى تعتاد الحلم والصفح، وتآلف الصبر والتروي، وتترى على عدم الاندفاع والتسرع في الرد والانتقام عند الغضب سواء بالقول أو الفعل. وهكذا مرة بعد مرة يصبح ذلك طبعاً عند الإنسان المسلم مقتدياً فيه برسوله صلى الله عليه وسلم الذي كان يسبق حلمه غضبه، وعفوه عقوبته.

هذا، وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.



الحالات التي تكره فيها الصلاة

الصلاة عند إجهاد البدن

وعند الفتور والنعاس

عدد ١٢٣٩ هـ - العدد ٥٥٨ - السنة السابعة والأربعون

د. حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله،

وبعد:

بدأنا في الحلقتين السابقتين بالحديث عن الحالات التي تكره فيها الصلاة؛ فتكلمنا عن كراهة أداء الصلاة بحضرة الطعام، والصلاة عند مدافعة الأخبثين، وتكمل الحديث عن هذه الحالات:

٢- الصلاة عند إجهاد البدن وعند الفتور والنعاس:

يُنْدَب للمسلم أن يصلي وبه نشاط وحيوية، وذلك حتى يستطيع الاتيان بالصلاة على وجه أكمل وأفضل، أما إذا كان مجهد البدن من أعمال شاقة أو يمكن أن يدخل عليه الفتور من كثرة العبادة أو غلبه النعاس فيكره له الدخول في الصلاة، والأصل في ذلك ما ورد عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يستغفر فيسب نفسه» رواه البخاري ومسلم.

وورد في قيام الليل عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا قام أحدكم من الليل، فاستعجم القرآن على لسانه، فلم يدر ما يقول، فليضطجع». رواه مسلم.

وعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: «دخل النبي صلى الله عليه وسلم فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا:

هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا، حلوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعده» رواه البخاري ومسلم.

قوله صلى الله عليه وسلم في حديث عائشة رضي الله عنها: (إذا نعس أحدكم) بفتح العين وغلط من ضمها (وهو يصلي) (فليرقد) وفي رواية فلينم وفي أخرى فليضطجع، والنعاس أول النوم والرقاد بالضم المستطاب من النوم ذكره الراغب (حتى يذهب عنه النوم) وهو غشي ثقل يهجم على القلب فيقطعه عن المعرفة بالأشياء. (فيض القدير- المناوي ١/ ٥٧٤).

وقوله صلى الله عليه وسلم: (يذهب ليستغفر فيسب نفسه) قال الحافظ: معنى يسب يدعو على نفسه، وصرح به النسائي في روايته أي يريد ويقصد أن يستغفر فيسب نفسه من حيث لا يدري مثلاً يريد أن يقول اللهم اغفر لي فيقول: اللهم اغفر لي، والعفر هو التراب فيكون دعاء عليه بالذل والهوان وهو تمثيل ولا فلا يشترط. (تحفة الأحوذى- المباركفوري ٢/ ٢٨٣).

أما الشتم فلا محل له هنا، وفي صحيح مسلم من حديث أم سلمة رضي الله عنها: «لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون» قاله في قصة وفاة أبي سلمة حين ضج

ناس من أهله.

وفي مسلم أيضاً من حديث جابر- رضي الله عنه- «لا تدعوا على أنفسكم ولا على أولادكم ولا على أموالكم لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم» وفي سنن أبي داود بزيادة قوله: «ولا على خدمكم» وقال في آخره «فيوافق ذلك من الله إجابة» وهذان الحديثان فيمن دعا على نفسه بقصد ذلك، وحديث الباب فيمن جرى على لسانه لقلبة النعاس ونحوه عليه من غير قصد لذلك. (طرح التثريب لأبي الفضل زين الدين العراقي ٨٩/٣).

قوله صلى الله عليه وسلم: «إذا نعس أحدكم في الصلاة فليرقد حتى يذهب عنه النوم إلى آخره» قال النووي: هذا عام في صلاة الفرض والنفل في الليل والنهار وهذا مذهبنا ومذهب الجمهور، لكن لا يخرج فريضة عن وقتها، قال القاضي: وحمله مالك وجماعة على نفل الليل لأنه محل النوم غالباً. (شرح النووي على صحيح مسلم ٧٤/٦).

قال الحافظ ابن حجر: «قال المهلب: (إنما هذا في صلاة الليل لأن الفريضة ليست في أوقات النوم ولا فيها من التطويل ما يوجب ذلك). وقد قدمنا أنه جاء على سبب لكن العبرة بعموم اللفظ فيعمل به أيضاً في الفرائض إن وقع ما أمكن بقاء الوقت». (فتح الباري ٣٦٥/١).

ووقع في حديث عائشة في رواية لمحمد بن نصر في قيام الليل قالت: (مرت برسول الله صلى الله عليه وسلم الحولاء بنت تويت فقيل له يا رسول الله إنها تصلي بالليل صلاة كثيرة فإذا غلبها النوم ارتبطت بحبل فتعلقته به، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلتصل ما قويت على الصلاة فإذا نعست فلتنم) وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده برقم ٢٦٣٠٩، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

قلت: وأصل الحديث في الصحيحين، فهذا هو السبب الذي أشار إليه الحافظ ابن حجر بقوله وقدّمنا أنه جاء على سبب.

وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «إذا قام أحدكم من الليل» يحتمل وجهين: (أحدهما) أن القيام هنا على بابه والمراد القيام للصلاة ثم يحتمل على هذا أن يكون القيام على ظاهره وإن لم يشرع في الصلاة ويحتمل أن يراد به القيام للصلاة مع الدخول فيها، ويدل لذلك قوله في حديث عائشة وأنس: «إذا نعس أحدكم في الصلاة».

(ثانيهما) أن يراد بالقيام من الليل نفس صلاة الليل فإنه يقال لصلاة الليل قيام الليل. (طرح التثريب لأبي الفضل زين الدين العراقي ٨٩/٣).

والمقصود من الاستعجم في قوله صلى الله عليه وسلم «فاستعجم القرآن على لسانه» أي ارتج عليه فلم يقدر أن يقرأ كأنه صار به عجمة وثقلت عليه القراءة كالأعجمي لقلبة النعاس عليه. (فيض القدير- المناوي ٥٧٤/١ بتصرف).

وقوله صلى الله عليه وسلم «فلم يدر ما يقول»، يحتمل معناه أوجها: (أحدها) أنه لنعاسه صار لا يفهم ما ينطق به.

(والثاني) أنه لا يدري لشدة نعاسه ما بعد اللفظ الذي نطق به حتى يأتي به.

(والثالث) أنه لشدة نعاسه لا يقدر على النطق أصلاً وهذه مراتب أخفها الأول وأشدّها الأخير. (طرح التثريب لأبي الفضل زين الدين العراقي ٨٩/٣).

وظاهر لفظ الحديث يدل على اختصاص ذلك بصلاة الليل، لكن المعنى يقتضي أن سائر الصلوات في ذلك سواء وأنه لا فرق بين الفرض والنفل لأن الأصل استواؤهما، والعلّة فيهما واحدة، وهو مذهب الجمهور أنه عام في صلاة الفرض والنفل في الليل والنهار والتقيد بالقيام من الليل إنما هو لأن الغالب عليه النعاس في صلاة الليل دون صلاة النهار، وما خرج مخرج الغالب لا مفهوم له، وقال بعض أهل العلم: إن المعنى يقتضي اختصاص ذلك بصلاة النفل لجواز الخروج من صلاة النفل دون الفرض. وما



ذهب إليه الجمهور أرجح.

هل الأمر الوارد في هذه الأحاديث (فليتنم، فليرقد، فليضطجع) على سبيل الاستحباب أو الإيجاب؟

ما عليه أكثر أهل العلم أنه على الاستحباب، وذهب البعض إلى الوجوب، والبعض إلى التفصيل، قال زين الدين عبد الرحيم العراقي: وظواهر الأحاديث تقتضي وجوب ذلك، فأما من حيث المعنى فإن كان النعاس خفيفاً بحيث يعلم المصلي النعاس أنه أتى بواجبات الصلاة فإن صلاته صحيحة فلا يجب عليه الخروج منها، وإن كان بحيث لا يعلم ما أتى به من الواجبات فصلاته غير صحيحة فيجب الخروج منها، ثم إن ذهب عنه النوم بأمر آخر غير الاضطجاع من تبرد بماء أو غير ذلك فلا شك أنه لا يجب ذلك لأنه وسيلة إلى ذهاب النوم وقد ذهب، فإذا حصل المقصد سقطت الوسائل، وإن لم يذهب ذلك إلا بالاضطجاع وجب عليه لأنه مقدمة للواجب، وقال أبو زرعة العراقي: والظاهر حمل الأمر في ذلك على الاستحباب مطلقاً، وما دام النعاس خفيفاً فلا وجه للوجوب وإذا اشتد النعاس انقطعت الصلاة لشدة الحاجة إلى إيجاب القطع لأنه يحصل بغير اختيار المصلي. (نقلًا عن شرح طرح التثريب لأبي زرعة العراقي ٩٠/٣).

ورده المناوي بقوله: "لا اتجاه له؛ كيف والمدرک في الوجوب خوف أن يغير كلام الله ويأتي بما لا يجوز من تحريف أو تغيير لمعنى أو وضع بعض أركان الصلاة في غير محل أو فعله على صورة غير مرضية فإذا اشتد النعاس بحيث غلب على ظنه الوقوع في ذلك فوجوب القطع في محل القطع. (فيض القدير- المناوي ٥٧٤/١ بتصرف)

هل محل هذا الأمر إذا لم يكن في فريضة قد ضاق وقتها؟

محل هذا الأمر إذا كان في وقت الصلاة متسع فإن ضاق الوقت بأن لم يبق منه زمن يسع صلاة الفرض فليس له الخروج منها، كذا حمله على

ذلك القاضي عياض وقال: إن من اعتراه ذلك في الفريضة وكان في وقت سعة لزمه أن يفعل مثل ذلك وينام حتى يتفرغ للصلاة، فإن ضاق الوقت عن ذلك يصلي على ما أمكنه ويجاهد نفسه ويدافع النوم جهده، ثم إن تحقق أنه أداها وعقلها أجزأته والا أعادها (إكمال المعلم شرح صحيح مسلم ٨٧/٣).

قال زين الدين عبد الرحيم العراقي في شرح الترمذي: وما ذكره هو الذي يمشي على قواعد مذهبتنا- أي المذهب الشافعي- كما في مسألة ما إذا قدم الطعام وقد بقي من الوقت ما يسع قدر الصلاة، وفيه وجه حكاه المتولي أنه يأكل وإن خرج الوقت، وهو قول أهل الظاهر، وقد يفرق بين البابين بأن الصلاة بحضرة الطعام لا تؤدي إلى مثل حالة النعاس الذي لا يدري ما يقول، وأن من أداه النعاس إلى هذه الحالة لا يستمر في صلاة الفرض ولا يسرع فيها حتى يكون على حالة يدري أنه أتى بواجبات الصلاة. (نقلًا عن شرح طرح التثريب لأبي زرعة العراقي ٩٠/٣).

الحكمة من الأمر بالنوم أو الاضطجاع في الأحاديث:

ورد التعليل بالأمر بالنوم أو الرقاد في حديث عائشة بأنه يذهب يستغفر فيسب نفسه وقال في حديث أنس: «حتى يعلم ما يقرأ» وقال في حديث أبي هريرة: «فلم يدر ما يقول»، والقدر المشترك في التعليل في هذه الأحاديث خشية التخليط فيما يأتي به من القراءة والدعاء، والأمر في القراءة أشد لوجوبها ولعظم المفسدة في تغيير القرآن. والحث على الإقبال على الصلاة بخشوع، وفراغ قلب ونشاط.

ففي هذا دليل على أن الصلاة لا ينبغي أن يقربها من لا يعقلها ولا يقيمها على حدودها وأن كل ما شغل القلب عنها وعن الخشوع فيها فواجب تركه، واستعمال الفراغ لها بقلب مقبل عليها. (الاستذكار- ابن عبد البر ٨٦/٢).

وللحديث بقية إن شاء الله، نسأل الله أن يوفقنا في ديننا، ويتقبل صالح أعمالنا.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

قال تعالى: « قُلْ أَمَرَ رَبِّي
بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ
كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ
لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ »
(الأعراف: ٢٩).

نصائح للولادة

قال الوليد بن عبد
الملك لأبيه: يا أبت، ما
السياسة؟ قال: هيبية
الخاصة مع صدق مودتها،
واقتياد قلوب العامة
بالإنصاف لها، واحتمال
هفوات الصنائع». (العقد
الفريد).

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

(عليكم بلباس الصوف تجدوا حلاوة الإيمان
في قلوبكم، وعليكم بلباس الصوف تجدوا
قلة الأكل، وعليكم بلباس الصوف تعرفون
به في الآخرة، وإن لباس الصوف يورث القلب
التفكير...) حديث موضوع. (الموضوعات
لابن الجوزي).

من معاني الأحاديث

هَجْرًا «كنت نهيتكم عن زيارة
القبور فزوروها ولا تقولوا
هَجْرًا، أي فحشا.
يقال، أهجر في منطقته يهجر
إهجارًا، إذا أفحش. وكذلك إذا
أكثر الكلام فيما لا ينبغي.
والاسم: الهجر، بالضم.
وهجر يهجر هَجْرًا. (النهاية
لابن الأثير)

من حكمة الشعر

عن الأصمعي قال: سمعت أعرابياً يتشد:
وإذا أظهرت أمراً حسناً... فليكن أحسن منه ما تُسر
فمُسر الخير موسوم به... ومُسر الشر موسوم بشر
(العقد الفريد)

إعداد : علاء خضر

من هدي رسول الله

عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الريح من روح الله؛ تأتي بالرحمة، وتأتي بالعذاب فلا تسبوا، وسلوا الله خيرها، وعودوا من شرها»..
(الأدب المفرد للبخاري)

من أقوال السلف

عن أبي العالية قال: من مات على السنة مستورا، فهو صديق. وكان يقول: الاعتصام بالسنة نجاة (السنة للبريهاري).

من دلائل النبوة

عن السائب بن يزيد قال: ذهبت بي خالتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله! إن ابن أختي وجع فمسح صلى الله عليه وسلم رأسي ودعا لي بالبركة، وتوضأ فشربت من وضوئه، وقمت خلف ظهره فنظرت إلى الخاتم بين كتفيه فإذا هو مثل زر الحجلة.. (جامع الترمذي)

حكم

ومواعظ

عن يحيى بن معاذ الرازي قال: «هيبة الناس من المؤمن على قدر هيئته من الله، وحيأؤهم منه على قدر حيائه من الله، وحبهم له على قدر حبه الله عز وجل»..
(شعب الإيمان)

من فضائل الصحابة

عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا التبیین والمرسلين، لا تخبرهما يا علي ما داما حيين»..
(سنن ابن ماجه)

حجاب المرأة المسلمة (٩)

د. متولي البراجيلي



(النساء: ١٠٠): فمنطوق الآية تحريم أكل أموال اليتامى، ومفهوم الموافقة تحريم كل صور الاعتداء على أموال اليتامى كإحراقها أو إغراقها أو إتلافها.. ومفهوم الموافقة حجة عند الجمهور.

٢- مفهوم المخالفة:

وهو ما يكون مدلول اللفظ في محل السكوت مخالفاً لمدلوله في محل النطق، فيثبت للمسكوت عنه نقيض حكم المنطوق به، مثال ذلك حديث: «وفي كل خمس من الأبل سائمة شاة»، وفيه: وفي كل أربعين شاة سائمة شاة، (صحيح سنن أبي داود وغيره)؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم خص الزكاة بالسائمة (وهي التي ترعى بنفسها ولا تعلف)؛ فدل بمفهوم المخالفة أن المعلوفة من الأنعام لا زكاة فيها.

٣- هل العمل بمفهوم المخالفة حجة؟

عمل به الصحابة وأقره النبي صلى الله عليه وسلم، فعن يعلى بن أمية قال: قلت لعمر بن الخطاب «لَيْسَ عَلَيْكَ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ جُنْتُمْ أَنْ يَتَيَسَّرَ لَكُمُ الْزَّكَاةُ كَمْزُورًا» (النساء: ١٠١)؛ فقد أمن الناس، فقال: عجبت مما عجبت منه، فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال: صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته (صحيح مسلم)؛ فالآية تدل على أن قصر الصلاة في السفر يكون من أجل الخوف، ومفهوم المخالفة أن المسافر لا يقصر الصلاة إذا كان آمناً، ولم ينكر النبي صلى الله

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد: ما زال حديثنا متصلاً عن الحجاب، فانتبهنا بفضل الله تعالى من الكلام عن آيات الحجاب ثم انتقلنا للأحاديث، فذكرنا منها حديثين: الحديث الأول: حديث أمنا عائشة رضي الله عنها: كان الركبان يمرون بنا ونحن مُحَرَّمَات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فإذا حاذونا سدلت إحدانا جلبابها على وجهها من رأسها، فإذا جاوزونا كشفناه. الحديث الثاني: حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تنتقب المحرمة ولا تلبس القفازين». وأوردنا سنده، ونستأنف البحث بإذن الله تعالى.

الاستدلال من الحديث:

يستدل بمفهوم المخالفة على أن النقاب والقفازين كانا معروفين في النساء لذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم المرأة إذا أحرمت أن لا تلبسهما.

ويتفرع عن ذلك سؤالان: السؤال الأول: ما هو مفهوم المخالفة، وهل هو حجة أم ليس بحجة؟

١- المفهوم نوعان:

مفهوم الموافقة، مفهوم المخالفة.

مفهوم الموافقة: هو ما يكون مدلول اللفظ في محل السكوت موافقاً لمدلوله في محل النطق (انظر إرشاد الضحول ٣٩٣/١-٣٩٤) مثال ذلك قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَهُنَّ آلِهَتَهُنَّ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا»



واباحة كشف الوجه للمحرمة دليل على أن الحجاب له، ولو كان الحجاب لغيره، لما كان لهذه الاباحة معنى. (مسئولية المرأة المسلمة ص ٤٥-٤٦).

ومن أهل العلم من استدل من الحديث أن الوجه ليس بعورة، والا ما نهاها النبي صلى الله عليه وسلم عن تغطيته في إحرامها، فلو كان عورة ما نهى عن تغطيته. يقول ابن بطال: «والمرأة كلها عورة، حاشا ما يجوز لها كشفه في الصلاة والحج، وذلك وجهها وكفها، فإن المرأة لا تلبس القفازين محرمة، ولا تنتقب في الصلاة ولا تتبرقع في الحج، وأجمعوا أنها لا تصلي منتقبة ولا متبرقة، وفي هذا أوضح دليل على أن وجهها وكفيها ليس بعورة». (شرح صحيح البخاري ٣٥/٢). وكذلك قال ابن عبد البر في الاستذكار ٢٠١/٢، وأبو الوليد الباجي في المنتقى شرح الموطأ ٢٠٠/٢).

ويقول الشيخ الألباني عن الحديث: يدل على أن الانتقاب كان معروفاً، لكنه لا يدل على وجوبه (انظر رسالة حجاب المرأة المسلمة لابن تيمية، تحقيق الألباني هامش ص ١٦).

وعلى العموم - والله أعلم - أن الحديث لا يُستفاد منه وجوب النقاب، وإنما يُستفاد منه مشروعيته، أما الوجوب فقد يستفاد من أدلة أخرى.

(فائدة: هل يجوز للمرأة المحرمة أن تغطي وجهها بالنقاب، الجمهور قالوا بالمنع، وأجازه الحنفية وهو رواية عند الشافعية والمالكية، ولم يختلفوا في منعها من ستر وجهها وكفيها بما سوى النقاب والقفازين انظر: فتح الباري لابن حجر ٥٤/٤)، والراجح ما عليه الجمهور لأن الأصل في النهي التحريم، ولا ينتقل عنه إلا بقرينة ظاهرة).

الحديث الثالث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم، فأقاه رجل

عليه وسلم على عمر رضي الله عنه العمل بمفهوم المخالفة، وإنما بين له أن مفهوم المخالفة لا يعمل به هنا في هذه الآية. قال ابن قدامة: وهذا حجة (مفهوم المخالفة) في قول إمامنا (أحمد) والشافعي ومالك وأكثر المتكلمين، وقالت طائفة منهم أبو حنيفة: لا دلالة له، ثم ذكر الأدلة ورجح العمل به. (انظر روضة الناظر ١١٥/٢-١٢١).

السؤال الثاني: هل يستدل بمفهوم المخالفة على وجوب النقاب والقفازين لغير المحرمة؟

لا يستفاد من مفهوم المخالفة في الحديث الوجوب، وإنما يستفاد منه مشروعية النقاب والقفازين للنساء وأن هذا كان معروفاً ومشتهراً بينهن، والا فلماذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم المحرمة عن ارتدائهما؟ وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم الرجال عن ارتداء العمامة والقميص والسرراويل حال إحرامهم، فهل يستدل بذلك على وجوب ارتدائهما في غير الإحرام؟، وهذا له نظائره في الشرع أن يكون الشيء محرماً في وقت، مباحاً في آخر، كالبيع والشراء وقت صلاة الجمعة، فهو محرم في وقت الصلاة، مباح في غيرها، وكالأكل والشرب والجماع في نهار رمضان، فهو محرم بالنهار، مباح في غيره.. وهكذا.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية مستدلاً من الحديث: «وهذا مما يدل على أن النقاب والقفازين كانا معروفين في النساء اللاتي لم يحرمن، وذلك يقتضي ستر وجوههن وأيديهن». (مجموع الفتاوى ٣٧٢/١٥).

وقال الشيخ عبد الله بن إبراهيم الجار الله - مستدلاً من الحديث على وجوب النقاب بجامع أن كشف الوجه يؤدي إلى الفتنة، وكشف المحرمة وجهها في حال الإحرام أمام الرجال الأجانب فتنة للناظرين، ومشغلة للحاجين والمعتبرين عن عبادة الله تعالى، وإذا كان كشفه واجباً على المحرمة، كما ذهب إليه بعض الفقهاء إذا أمنت الفتنة، فإن ستره أوجب، لأن في كشفه فتنة أو أذى.



فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنظرت إليها؟ قال: لا، قال فاهرب فانظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئاً». (رواه مسلم).

وبمعناه وردت أحاديث أخرى منها حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه لتكاحها فليفعل». (مسند أحمد وقال الأرنؤوط: حسن، وحسنه الألباني في المشكاة).

وعن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا خطب أحدكم امرأة، فلا جناح عليه أن ينظر إليها إذا كان إنما ينظر إليها لخطبة، وإن كانت لا تعلم». (مسند أحمد وقال الأرنؤوط: صحيح وهو في السلسلة الصحيحة للألباني).

الاستدلال من الحديث:

يقول النووي وفيه (حديث أبي هريرة رضي الله عنه) استحباب النظر إلى وجه من يريد تزوجها، وهو مذهبنا ومذهب مالك وأبي حنيفة وسائر الكوفيين وأحمد وجماهير العلماء، وحكى القاضي عن قوم كراهته، وهذا خطأ مخالف لصريح هذا الحديث ومخالف لإجماع الأمة على جواز النظر للحاجة عند البيع والشراء والشهادة ونحوها، ثم إنه يُباح له النظر إلى وجهها وكفيها فقط لأنهما ليسا بعورة، ولأنه يستدل بالوجه على الجمال أو ضده، وبالكفين على خصوبة البدن أو عديمها.. ثم قال: ثم مذهبنا ومذهب مالك وأحمد والجمهور أنه لا يشترط في جواز هذا النظر رضاها، بل له ذلك في غفلتها، ومن غير تقدم إعلام». (انظر شرح النووي على مسلم ٢١٠/٩).

وقال الحافظ في الفتح: قال الجمهور لا بأس أن ينظر الخاطب إلى مخطوبته، قالوا: ولا ينظر إلى غير وجهها وكفيها،

وقال الأوزاعي: يجتهد وينظر إلى ما يريد منها إلا العورة. (انظر فتح الباري ١٨٢/٩)؛ فاستدل قوم من الحديث وأمثاله: أن النبي صلى الله عليه وسلم رفع الإثم عن من ينظر إلى المرأة بغرض خطبتها، فدل ذلك على إثم من ينظر إلى المرأة وهو لا يريد خطبتها، وحيث إن الجمهور على أن النظر يباح للوجه والكفين، فدل ذلك على وجوب تغطيتهما، وإنما أبيع النظر للضرورة، والضرورة تقدر بقدرها، فلو كانت المرأة كاشفة لوجهها وكفيها فلماذا أذن النبي صلى الله عليه وسلم بالنظر إليها إذن؟ وقال آخرون: إن رفع الإثم عن النظر إلى الوجه والكفين، دل على أنهما ليسا بعورة ولأنهما لو كانا من العورات لما جُوزَ النبي صلى الله عليه وسلم النظر إليهما بحال.

ولم يرد في الأحاديث تحديد النظر بالوجه والكفين، لذا تنازع أهل العلم في الموضوع الذي يجوز النظر إليه من المخطوبة، فقال الأوزاعي: ينظر إلى مواضع اللحم، وقال داود: ينظر إلى جميع بدنها، وقال ابن حزم: فينظر إلى ما أقبل منها وما أدبر منها (انظر شرح النووي على مسلم ٢١٠/٩). وفتح الباري ١٨٢/٩).

وأحاديث النظر إلى المخطوبة، ليست نصاً في وجوب النقاب أو عدم وجوبه، وغاية ما فيها أن ينظر الخاطب إلى من يريد خطبتها؛ لأنه أخرى أن يؤدب بينهما؛ كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم العلة من ذلك. بل ربما تكون هذه الأحاديث في جانب من قال أن الوجه والكفين ليسا من العورات، خاصة إذا نظر إليها دون علمها، ويختبئ لها كما وردت آثار في ذلك، فهو سينظر إلى وجه مكشوف وليس مغطى، وإن كان يرد على ذلك، أن ذلك في مكان أمنت أن يراها الرجال فيه فكشفت عن وجهها، والله أعلم.

وللحديث بقية، إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.



سبيل المؤمنين في فقه التعامل مع المخالفين

(ضوابط فقه الخلاف وأقسامه)

معاوية محمد هيكل

العدد ١٢٢٩

الحلقة الثالثة

المكروه بالقدر المحبوب، والواجب اتباع الشرع والإيمان به، وليس ترك الشرع والاحتجاج بالقدر.

قال تعالى: «وَأَقْبِصُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا» (آل عمران: ١٠٣).

فدلّت الآية على أن الاجتماع يكون على حبيل الله المنزل من السماء إلى الأرض، وهذا هو الاجتماع المأمور به شرعاً.

وهذا يوضح لنا المنهج الصحيح الذي ينبغي أن يكون عليه الاجتماع، وليس كما يظن البعض أن يجتمع الناس على أي شيء، فهذا وهم كبير أن تجتمع القلوب على غير حبيل الله المتين وشرع الله القويم.

وقال تعالى: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَيْنِ مَا بَاءَهُمْ الْقِيَمَاتُ» (آل عمران: ١٠٥).

«فيه إشارة إلى أن الاختلاف المذموم والذي يؤدي إلى الافتراق؛ هو الاختلاف في أصول الديانة الذي يفضي إلى تكفير بعض الأمة بعضاً، أو تفسيره، دون الاختلاف في الفروع المبنية على اختلاف مصالح الأمة في الأقطار والأعصار، وهو المعبر عنه بالاجتهاد. ونحن إذا تقصينا تاريخ المذاهب الإسلامية لا نجد افتراقاً نشأ بين المسلمين إلا عن اختلاف في العقائد والأصول، دون الاختلاف في الاجتهاد في فروع الشريعة.

«والبيّنات» هي الدلائل التي فيها عصمة من الوقوع في الاختلاف لو قيضت لها أفهام.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

ففي حديثنا عن «قواعد فقه التعامل مع المخالفين» نكمل ما بدأناه في العدد الماضي بالكلام عن القاعدة الثالثة وهي «ضوابط فقه الخلاف وأقسامه» فنقول وبالله التوفيق.

دلت الأدلة القاطعة من الكتاب والسنة على وجود الاختلاف بين بني البشر وتقدير الله ذلك عليهم، فهو أمر قدرني كوني؛ قال الله تعالى: «وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَالُونَ تَخْتَلِفُونَ» (١٣) إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» (هود: ١١٨، ١١٩).

قال ابن كثير رحمه الله: قال الحسن رحمه الله: الناس مختلفون على أديان شتى إلا من رحم ربك، فمن رحم ربك غير مختلف. فقيل له لذلك خلقهم؟ قال: خلق هؤلاء لجنّته، وخلق هؤلاء لناره، وخلق هؤلاء لرحمته، وخلق هؤلاء لعذابه. وكذا قال عطاء والأعمش. اهـ.

وقد دلت الأدلة على أن الاختلاف بين الناس واقع لا محالة، وقضاء الله به نافذ لسبق الكلمة منه بتأجيل الفصل والقضاء بين الناس إلى أجل مسمى.

وهذا الاختلاف من قدر الله الذي أمرنا شرعاً أن نفرّ منه إلى قدر الله بالائتلاف والاجتماع، فنُدفع القدر بالقدر، وننازع القدر



(التحرير والتنوير ج ٤/ ص ٤٣)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ناهياً عن الاختلاف ومُحذراً: (قال ذروني ما تركتكم. فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم) (صحيح مسلم: ١٣٣٧).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تختلفوا فتختلف قلوبكم» (صحيح الترغيب: ٥١٣).

والواجب الشرعي عند الاختلاف يكون بأمرين:

(١) السعي إلى التوحد والاجتماع على الكتاب والسنة بضمهم سلف الأمة ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

(٢) محاربة البدع والأهواء والانحرافات المنهجية التي كانت سبباً في تمزيق شمل الأمة وإضعاف وحدتها.

أنواع الخلاف الواقع بين المسلمين:

ينقسم الخلاف الواقع بين المسلمين إلى: اختلاف تنوع، واختلاف تضاد. واختلاف التضاد ينقسم إلى: خلاف سائغ (أي معتبر غير مذموم)، وخلاف غير سائغ (أي غير معتبر مذموم).

أولاً: اختلاف التنوع

وهو ما كانت المناهضة فيه لا تقتضي إبطال أحد القولين للآخر؛ ثبوت صحتها في الشرع. وأمثلة هذا النوع كثيرة منها:

(١) ما جاء عن عبد الله بن أبي قيس قال: (سألت عائشة عن وتر رسول الله صلى الله عليه وسلم، كيف كان يوتر؟ من أول الليل، أو من آخره؟ فقالت: كل ذلك قد كان يصنع، ربما أوتر من أول الليل، وربما أوتر من آخره، فقال: الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة. فقلت: كيف كانت قراءته؟ أكان يسر بالقراءة أم يجهر؟ قالت: كل ذلك كان يفعل، قد كان ربما أسر، وربما جهر، قال: فقلت: الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة. فقلت: فكيف كان يصنع في الجنابة، أكان يغتسل قبل أن ينام، أم ينام قبل أن يغتسل؟ قالت: كل ذلك قد كان يفعل، ربما اغتسل فنام،

وربما توضأ فنام، قلت: الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة. (صحيح سنن الترمذي، (٢٩٢٤)).

والشاهد من هذا ظاهر، وهو جواز الأمرين، في الوتر، والقراءة، والاعتسال من الجنابة.

(٢) ومن ذلك أيضاً: الاختلاف في وجوه القراءة، وصفة الأذان، والإقامة، وأدعية استفتاح الصلاة، والتشهد، ومحل سجود السهو، وصلاة الخوف، وتكبيرات العيد، وتكبيرات الجنازة، ونحو ذلك مما قد شرع جميعه. (ينظر: الاقتضاء (١/ ١٣٢)، ومجموع الفتاوى (٢٤٢/ ٢٤)).

(٣) ومن هذا الباب: الواجب المخير، مثل: كفارة اليمين، قال تعالى: (فَكَفَّرْنَاهُ بِإِطْعَامِ عَشْرَةِ سَكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْفَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرَ رَقَبَةٍ) (المائدة: ٨٩)، فأي واحد من الثلاثة فعل، من الإطعام، أو الكسوة، أو العتق أجزأه، أما الصيام فلا يجوز الانتقال إليه إلا إذا عدت الثلاثة.

ثانياً: اختلاف التضاد:

وهو أن يكون كل قول من أقوال المختلفين يضاد الآخر ويحكم بخطئه أو بطلانه في أصل الحكم الشرعي لا من جهة الفتوى.

ووقع هذا النوع من الخلاف بين الملل والأديان من المعلوم بالضرورة والمجمع عليه بين المسلمين، ولم يخالف في ذلك إلا الزنادقة والمنافقون الذين ينادون بوحدة الأديان والمساواة بين الملل وأنها كلها حق وصواب وأنه لا فرق عندهم بين يهودي ونصراني. وقال تعالى: ((وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ))، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار». (صحيح مسلم: ١٥٣).

أنواع اختلاف التضاد:

ينقسم اختلاف التضاد إلى خلاف سائغ (أي معتبر وغير مذموم)، وخلاف غير سائغ (أي غير معتبر ومذموم).



أولاً: الخلاف السائغ المُعتَبَرُ:

وهو ما لا يخالف نصاً من كتاب أو من سنة أو إجماعاً، أو قياساً جلياً، وهذا سواء في الأمور الاعتقادية - وهذا نادر - أو في الأحكام بين الفقهاء.

وهذا النوع من الخلاف يرجع إلى تفاوت أفهام العباد، وتفاوت قدراتهم على البحث والاجتهاد.

ضوابط الخلاف السائغ:

(١) خفاء الدليل الراجح مع قصد الحق: كما قال شيخ الإسلام - رحمه الله -: «إنه إذا كان في المسألة نصٌ خفيٌّ على بعض المجتهدين، وتعدّر عليهم علمه، ولو علم به لوجب عليه اتباعه، ولكنه لما خفي عليه اتبع النص الآخر، وهو منسوخ أو مخصوص، وهو لم يعلم بالدليل المخصص أو الناسخ أو لم يصح عنده» (مجموع الفتاوى ٣٦/٢٠ - ٢٥).

فالعالم قد يراجع المسألة وهو يريد الحق، لكن خفي عليه الدليل الواضح الذي يحسم المسألة، فهذا من الخلاف السائغ. وهذا أغلب الخلاف الذي عليه الأئمة الأربعة وغيرهم من علماء الأمة رحمهم الله تعالى، فلا يُظنُّ أبداً بواحد منهم أنه يتعمّد مخالفة الدليل.

(٢) عدم مخالفة النص الشرعي أو الإجماع:

وهو ألا يكون في المسألة نصٌ شرعي واضح، ولا إجماعٌ متيقنٌ معلوم، فإذا اجتهد الفقيه فيها، وبذل فيها وسعهُ، فإن خالف غيره من العلماء سواء كانوا سابقين أو معاصرين، فالخلاف يكون سائغاً، كما نصر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

وهذا الضابط من أهم الضوابط، وليبيانه أسوق مثلاً قال تعالى: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْهَاتُكُمْ» فمعلوم أن التعبير بكلمة (تحريم) نص في المسألة، ولا يمكن أن يُناقش فنقول: هل هذا حرامٌ أم مكروه؟ فالنص واضحٌ وجليٌّ في أعلى درجات الوضوح في دلالة الألفاظ، فلا يُقبل أبداً مخالفة ما جاء فيه نص التحريم، بخلاف الأدلة التي الظاهر منها هو التحريم،

وغير ذلك من الدلالات التي هي أقل وضوحاً من النص.

وكذلك مثل النص «الإجماع»، فإن الأمة معصومة أن تجتمع على ضلالة، والإجماع يدخل فيه ما علم من الدين بالضرورة.

(٣) لا يكون الخلاف سائغاً إلا من أهل العلم والبصيرة والاجتهاد والفقه في الدين:

فلا يفتح باب الاجتهاد على مصراعيه لعوام الناس ولكل شخص من طلاب العلم، بل لابد له من ضوابط. وضابط الاجتهاد: أن يبذل العالم الفقيه المجتهد أقصى وسعهُ في تحري الحق وقصده، عندئذ يكون الاجتهاد ويكون التقلب بين الأجر والأجرين كما في الحديث: (إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر) (صحيح النسائي: ٥٣٩٦).

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنواع المجتهدين فقال: «بخلاف الذين أفتوا المشجوج في البرد بوجوب الغسل فاغتسل فمات، فإنه صلى الله عليه وسلم قال: (قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا؟ فإنما شفاء العي السؤال)».

فأنكر عليهم «اجتهادهم». فهم اجتهدوا عن غير أهلية، فليس عندهم مؤهلات للاجتهاد، ولذلك أنكر عليهم النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يقل كما قال في الحديث الآخر: (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر)، وإنما قال: (قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا؟ فإنما شفاء العي السؤال) فإن هؤلاء أخطأوا بغير اجتهاد إذ لم يكونوا من أهل العلم. (مجموع الفتاوى ١٤١/٢٠).

(٤) لا يكون الخلاف سائغاً مع البغي:

وذلك أن البغي يعارض قصد الحق الذي هو من لوازم الخلاف السائغ، قال تعالى: «وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ»؛ قال شيخ الإسلام: «والبغي إما تصيير للحق، وإما تعد للحق، فهو إما ترك واجب، وإما فعل محرم، فعلم أنه

موجب التفريق هو ذلك».

وقال أيضاً: «وهذا حال أهل الاختلاف المذموم من أهل الأهواء كلهم لا يختلفون إلا من بعد أن يظهر لهم الحق ويجيئهم بالعلم، فيبغي بعضهم على بعض...» (منهاج السنة النبوية: ٣٦٤/٥).

فالشخص الذي يريد أن يبغي على منأظره أو على مخالفه يحرص على الاستدلال بأدلة للانتصار لرأيه أو مذهبه، وهذا البغي يتنافى مع قصد الحق، فقاصد الحق لا بد أن يكون متجرداً عن الهوى.

(٥) لا يكون الخلاف سائغاً مع ظهور الأدلة؛ وذلك أن الدليل الظاهر يحسم مادة الخلاف، فإن كان الخلاف سائغاً قبل ظهور الدليل؛ فإنه لا يكون كذلك بعد ظهوره، وفي هذا المعنى يقول شيخ الإسلام رحمه الله: «فلا يجوز لنا أن نعدل عن قول ظهرت حجته بحديث صحيح وافقه طائفة من أهل العلم، إلى قول آخر قاله عالم يجوز أن يكون معه ما يدفع به هذه الحجة وإن كان أعلم، إذ تطرق الخطأ إلى آراء العلماء أكثر من تطرقه إلى الأدلة الشرعية؛ فإن الأدلة الشرعية حجة الله على جميع عباد، بخلاف رأي العالم» (مجموع الفتاوى: ٢٠/٢٥٠).

وقال أيضاً في «كتاب الإيمان»: «ولهذا اتفق العلماء على أنه إذا عرف شخص الحق لا يجوز تقليد أحد في خلافه» انتهى.

ولذلك كان الشافعي- رحمه الله تعالى يقول-: «إذا صح الحديث؛ فهو مذهبي» (ابن عابدين في «الحاشية» ٦٣/١). فالدليل الظاهر هو الذي يحسم مادة الخلاف.

تنبيهات مهمة حول مسائل الخلاف السائغ:

إذا تحقق المسلم بعد البحث في المسألة أنها من مسائل الخلاف السائغ؛ فينبغي له أن يعلم أموراً مهمة:

(١) أنه ليس له أن ينكر أو يعيب على مخالفه، لأنها من مسائل الاجتهاد.

قال ابن رجب- رحمه الله-: «قال إسماعيل

بن سعيد الشالنجي؛ سألت أحمد- أي؛ ابن حنبل-: هل ترى بأساً أن يصلي الرجل تطوعاً بعد العصر والشمس بيضاء مرتفعة؟ قال: لا نفع له، ولا نعيب فاعله. قال: وبه قال أبو حنيفة. وهذا لا يدل على أن أحمد رأى جوازه، بل رأى أن من فعله متأولاً، أو مقلداً لمن تأوله، لا ينكر عليه، ولا يعاب قوله؛ لأن ذلك من موارد الاجتهاد السائغ» انتهى من «فتح الباري» لابن رجب (١٢٧/٤).

(٢) ومن باب أولى ألا يحكم على مخالفه بالضلال أو البدعة.

قال ابن القيم- رحمه الله- بعد أن ذكر مذاهب العلماء في قنوت الفجر: «فأهل الحديث متوسطون بين هؤلاء (الذين ينكرون القنوت في الفجر مطلقاً) وبين من استحبه عند التوازل، وغيرها، فإنهم يقتنون حيث قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتركونه حيث تركه، فيقتدون به في فعله وتركه، ويقولون: فعله سنة، وتركه سنة، ومع هذا فلا ينكرون على من دأوم عليه، ولا يكرهون فعله، ولا يرونه بدعة، ولا فاعله مخالفاً للسنة، كما لا ينكرون على من أنكره عند التوازل، ولا يرون تركه بدعة، ولا تاركه مخالفاً للسنة، بل من قنت، فقد أحسن، ومن تركه فقد أحسن...» (زاد المعاد ١/١١٥).

(٣) وهذه المسائل لا يجوز معها الافتراق، ولا الهجر، ولا المعادة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «مسائل الاجتهاد من عمل فيها بقول بعض العلماء؛ لم ينكر عليه ولم يهجر، ومن عمل بأحد القولين لم ينكر عليه» انتهى من «مجموع الفتاوى» (٢٠/٢٠٧).

وقال ابن القيم رحمه الله: «وهذا النوع من الاختلاف لا يوجب معادة، ولا افتراقاً في الكلمة، ولا تبديداً للشم؛ فإن الصحابة رضي الله عنهم اختلفوا في مسائل كثيرة من مسائل الفروع...» (الصواعق المرسلات: ٥١٧/٢).

والله الموفق والمستعان،

والحمد لله رب العالمين.



التربية على الجود والكرم



د. عبد العظيم بدوي



الله التي يمكن الاتِّصافُ بها ومنها الجود والكرم.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجُودَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجُودَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجُودُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ» (متفق عليه).

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ أَنَّهُ «بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ النَّاسُ مَقْفَلُهُ مِنْ حُنَيْنٍ فَعَلَقَهُ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرُّوه إِلَى سَمَرَةٍ فَخَطَفَتْ رِذَاءَهُ فَوَقَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَعْطُونِي رِذَائِي لَوْ كَانَ لِي عِدْدُ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ نَعْمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بِخِيَلًا وَلَا كَذُوبًا وَلَا جَبَانًا» (صحيح البخاري ٢٨٢١).

وَعَنْ سَهْلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبُرْدَةٍ مَنَسُوجَةٍ فِيهَا حَاشِيَتُهَا أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ؟ قَالُوا الشَّمْلَةُ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: نَسَجْتُهَا بِيَدِي فَجِئْتُ لَأَكْسُوَكَهَا فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَبَعْدُ:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا بَقِيَ مِنْهَا؟» قَالَتْ: «بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتَفُهَا». قَالَ: «بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتَفِهَا» (صحيح جامع الترمذي: ٢٤٧٠).

الجود والكرم صفتان لله عزَّ وجل، ومن أسمائه الحسنَى الكريمُ الجواد، فعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَاءَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجَوْدَةَ، يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا» (سنن ابن ماجه: ١٧٩٦). قَالَ ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ: «الصفات الإلهية ضربان: أحدهما يختصُّ به كالأزليَّة والأبدية والغنى عن الأكوان، والثاني يمكن التخلُّق به وهو ضربان:

أحدهم: لا يجوز التخلُّق به كالعظمة والكبرياء، والثاني: ورد الشرع بالتخلُّق به كالكرم والجود والحلم والحياء والوفاء، فالتخلُّق به بقدر الإمكان مُرَضٌّ لِلرَّحْمَنِ مُرْغَمٌ لِلشَّيْطَانِ» (فيض القدير (٢٥١/٢)).

ولما كان النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلمَ الناسِ بالله كان أكثرهم تخلُّقاً بصفات



عليه وسلم مُحْتَاجًا إِلَيْهَا فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِذَا رَأَتْهُ فَحَسَنَتْهَا فَلَا تَقَالَ أَكْسَنِيهَا مَا أَحْسَنَتْهَا قَالَ الْقَوْمُ مَا أَحْسَنْتَ لِبِسْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا ثُمَّ سَأَلَتْهُ وَعَلِمَتْ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ قَالَ إِنِّي وَاللَّهِ مَا سَأَلْتُهِ لِأَلْبِسَهُ إِنَّمَا سَأَلْتُهِ لَتَكُونَ كَفَنِي، قَالَ سَهْلٌ فَكَانَتْ كَفَنُهُ» (صحيح البخاري ١٢٧٧).

وَعَنْ مُوسَى بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «مَا سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ الْإِسْلَامَ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ قَالَ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمُ اسْلُمُوا فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ» (صحيح مسلم: ٢٣١٢).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا دَبَحُوا شاةً، ثُمَّ طَفَقُوا يَتَصَدَّقُونَ مِنْهَا، ثُمَّ سَأَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا بَقِيَ مِنْهَا؟» قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتِفُهَا. فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا»، يريد بَقِيَ كُلُّهَا لَنَا عِنْدَ اللَّهِ، لَأَنَّا تَصَدَّقْنَا بِهِ، وَأَمَّا كَتِفُهَا الَّذِي بَقِيَ عِنْدَنَا فَهَسْنَاكُلَهُ فَيَفَنِي، وَكَانَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشِيرُ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: «مَا عِنْدَكَ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ» (النحل: ٩٦).

وقد صرح بذلك النبي صلى الله عليه وسلم كما في الحديث عَنْ مُطَرِّفٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْرَأُ (الْهَاجِمُ التَّكَاثُرُ) قَالَ: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ مَا لِي مَالِي. وَهَلْ لَكَ يَا ابْنُ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتُ فَأَفْنَيْتُ، أَوْ لَبِسْتُ فَأَبْلَيْتُ، أَوْ تَصَدَّقْتُ فَأَمْضَيْتُ» (صحيح مسلم: ٢٤٣٠).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟» قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ. قَالَ: «فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالٌ وَارِثُهُ مَا أَخَّرَ».

(صحيح البخاري ٦٤٤٢).

وهكذا علم صلى الله عليه وسلم أصحابه الجود والكرم بفعله، ودعاهم إليه بقوله، ومما أثر عنه في ذلك:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا وَيَقُولُ الْآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْسِكًا تَلَفًا» (متفق عليه).

وَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ أَنْ تَبْدُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَأَنْ تُمْسِكَ شَرٌّ لَكَ، وَلَا تَلَامُ عَلَى كِفَافٍ، وَأَبْدَأُ بِمَنْ تَعُولُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى» (صحيح مسلم ١٠٣٦).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ وَأَنْ كَانَتْ ثَمَرَةً فَتَرَبَّوْا فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ أَوْ فَصِيلَهُ» (متفق عليه).

ولقد كثر في القرآن الكريم الأمر بالكرم والجود، قال تعالى: «آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ» (الحديد: ٧)، وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفْعَةً وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ» (البقرة: ٢٥٤)، وقال تعالى: «وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ يَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَقْتُ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ» (المنافقون: ١٠).

ومع الأمر بالجود والكرم يأتي الترغيب فيهما ببيان فضلها وكثرة الأجر والثواب المترتب عليهما، قال تعالى: «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَعَ



سَائِلٍ فِي كُلِّ سُبُلَةٍ مِائَةَ حَبٍّ وَاللَّهُ يَصْنَعُ لِمَنْ يَشَاءُ
وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» (البقرة: ٢٦١). وقال تعالى:
«الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» (البقرة: ٢٧٤).
وقال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ
اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَرَّةً لَّنْ تَبْوَءَ ۝٢٨
لِنُؤْفِقَهُمْ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ
عَفُورٌ شَكُورٌ» (فاطر: ٢٩ - ٣٠). وقال
تعالى: «وَالَّذِينَ صَبَرُوا أَبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا
الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَبِذَرُوا
لِلْحَسَنَةِ أَلْجَنَةَ أُولَئِكَ هُمْ عَقَى الدَّارِ ۝٢٢ جَنَّتْ
عَيْنٌ يَدْخُلُهَا وَمِنْ صَلَاحٍ مِنْ أَرْبَابِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ
وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا
صَبَرْتُمْ فَيَغْفِرُ عَقَى الدَّارِ» (الرعد: ٢٢ - ٢٤).

ذم البخل والبغلاء

وكما أخبر سبحانه أنه يُحِبُّ الجواد
الكريم، فقد أخبر أنه يُبْغِضُ البخل، فقال
تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا
۝٢١ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ
وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا» (النساء: ٣٦ - ٣٧)،
كما قال تعالى: «وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ
اللَّهُ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ
مِنَ الصَّالِحِينَ ۝٧٥ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا
بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ۝٧٦ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي
قُلُوبِهِمْ لَئِنْ بَوَّيْ بَلْقَوْمَهُ، يَمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ
وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ» (التوبة: ٧٥ - ٧٧).

وتوعَّد الله البخلَاءَ بأشدَّ العذاب فقال
تعالى: «وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ
مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا
بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» (آل عمران: ١٨٠).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال
رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ آتَاهُ

اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مِثْلَ لَهُ مَالَهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ شَجَاعًا أَفْرَعُ لَهُ زَيْبَتَانِ يُطَوَّقُهُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُ بِلَهْزَمَتَيْهِ يَغْنِي
بِشِدْقَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا مَالِكُ أَنَا كَنْزُكَ
ثُمَّ تَلَا: «وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ» الآية (آل
عمران: ١٨٠)» (صحيح البخاري ١٤٠٣).

وقال تعالى: «وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ اللَّهَ
وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقِدُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣١ يَوْمَ يُخَيَّلُ عَلَيْهِمْ أَنَّا نَارُ جَهَنَّمَ
فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُوهُهُمْ وَظُهُورُهُمْ
هَذَا مَا كُنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذَوُّوا مَا كُنْتُمْ
تَكْتُمُونَ» (التوبة: ٣٤ - ٣٥).

وعن أبي هريرة قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صلى
الله عليه وسلم: «مَا مِنْ صَاحِبٍ ذَهَبٍ
وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَاحٌ مِنْ نَارٍ
فَاحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا
جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ
لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ
حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا
إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ». (صحيح مسلم
٩٨٧).

فيا أرباب الأموال! ويا ذوي النعم! «ءَامِنُوا
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَعْلِفِينَ فِيهِ
فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنفَقُوا هُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧ وَمَا
لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لَتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ
أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِذْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝٨ هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَنْ
عَبْدِهِ ءَابِئَ يَتَّبِعْ أَمْرَهُ جَمْعًا مِّنَ الظَّالِمِينَ إِلَى التَّوْبَةِ
وَأَنَّ اللَّهَ يَكْفُرُ لِرُءُوفٍ رَّحِيمٍ ۝٩ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ
مَنْ أَنفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَدَّلَ أُولَئِكَ أَكْثَرُ دَرَجَةً
مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَى
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١٠ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ
قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ» (الحديد: ١١ - ٧).

والحمد لله رب العالمين.



ظهور الفاحشة .. الأسباب والعلاج



أحمد صلاح

اعداد

ولما كان إفساد المرأة أحد العوامل - بل أهم العوامل - الرئيسة في انتشار الفواحش فلقد اهتم الإسلام بالمرأة أيما اهتمام، وعُنِيَ بها عناية فائقة، وكفل لها حقوقها، وبين لها عملها وواجبها، لكي تقوم بهذه الواجبات على أتم وجه، صانها وحاطها بكل وسيلة تضمن سلامتها للقيام بدورها، فكانت الوصية بها من آخر وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث قال: «استوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عوان عندكم». (رواه الترمذي).

وفي الوقت ذاته حذرنا من تفلتها عن دينها، واتباعها لهوها؛ لأن فسادهما وبال وشراً مستطير، فجاء في الحديث: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فناظر كيف تعملون؟ فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء». (رواه مسلم).

إن من رحمة الله بعباده أن شرع لهم التدابير الوقائية التي تقطع دابر الفتنة بين الرجال والنساء؛ صيانة لأعراضهم، وحماية لمجتمعاتهم، وهي المعنية بقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ» (النور: ٢١).

وبين الله تعالى لبني آدم مراد الشيطان منهم فقال: «وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا»

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد ذكرنا في العدد الماضي أن الفواحش ضررها مستطير، وشرها عظيم، يأتي شؤمها على الأخضر واليابس، وهي شؤم على المعمورة جميعاً.

وأما عن أسباب ظهور الفواحش وعلاجها، فهو ما سوف نسطره في هذا العدد - إن شاء الله تعالى -، فنقول وبالله التوفيق:

أسباب الفاحشة وعلاجها

لظهور الفاحشة أسباب رئيسة أدت بدورها إلى الوقوع في أصل الفواحش التي حرم الله تعالى، منها: التساهل في الاختلاط بين النساء والرجال، الخلوة بالمرأة الأجنبية، عدم الالتزام بالضوابط الشرعية في دخول البيوت، التبرج، إطلاق النظر إلى ما حرم الله، الإفراط في إظهار الزينة - حتى أمام المحارم - عدم التفرقة بين الأولاد في المضاجع، إدمان مشاهدة الأفلام والمسلسلات التي تحارب الفضيلة، وتدعو إلى كل رذيلة وغير ذلك كثير.

ولما كان الأمر كذلك حرم الله تعالى كل وسيلة تفضي إلى الوقوع في المحرم، فالشرعية مبنية على سد الذرائع المفضية إلى المعاصي والتحرز مما عسى أن يكون طريقاً إلى جلب المفسد.



أعمى، فقيل لها: إنه لا ينظر إليك، قالت: لكني أنظر إليه.

ومما ينبغي التنبيه عليه: أنه لا فرق بين النظر إلى الرجال والنساء على الحقيقة، والنظر إليهما على شاشات التلفاز، أو صور الجرائد والمجلات، وهل تأتي الكوارث إلا من هذا الجانب؟ فينظر الرجال إلى النساء في كامل زينتهن، وينظر النساء إلى الرجال كذلك، فيحقر بعضهم بعضاً، ويذري كل منهم نعمة الله عليه، ومن هنا يدخل الشر من أوسع الأبواب.

فحرم الإسلام على المرأة إظهار زينتها إلا لمن حدد الله تعالى، كما في سورة النور، وهم الاثنا عشر صفاء: «وَلَا يَبْدِيَنَّ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يَبْدِيَنَّ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِمَوْلَاهُنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّبَاعِينَ غَيْرَ أُولِي الْأَرْبَابِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْوَلَدِ الَّذِي لَهَا يَنْظُرُونَ عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَكُمْ نُصُوحَاتٌ» (النور: ٣١).

كما حرم عليها أن تفضي أسرار فراشها وبيتها، وألا تضع ثيابها في غير بيتها، ونهاها عن مصافحة الرجال الأجانب، كل هذا وأكثر، إنما هو صيانة لها ولمجتمعها، لأن الفواحش إذا نزلت بساحة قوم فساء صباح المنذرين.

والناظر في أحوال الأمم وأقوامهم يرى أن مؤشرات التقدم والرفي منوطة بالأخلاق، فكلهما متلازمان مترابطان، فلا قيام لأمة إلا بالأخلاق، فإذا ذهبت أخلاقهم فكبر عليهم أربعاً، «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الشَّيْثَانَ وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَهْدِيهِمْ» (يونس: ٤٤).

نسائه تعالى ألا يواخذنا بما فعل السفهاء منا، وأن يجنب مجتمعاتنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

والحمد لله أولاً وآخراً.

(النساء: ٦٠). وقال تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ» (المائدة: ٩١).

ومن هذه الخطوات التي حذرنا الله تعالى منها، والتي توقع في أصل الحرام: التبرج، وإطلاق البصر إلى ما حرم الله، ومصافحة النساء الأجانب، والخلو المحرمة، والتساهل في معاملة النساء والحديث معهن، والاختلاط من غير مراعاة الضوابط الشرعية، وغير ذلك كثير.

لذا حث الإسلام على قرار المرأة في بيتها، صيانة لها وللمجتمع.

ومن صور الحماية والصيانة أيضاً: عدم خضوع المرأة بالقول أمام الرجال الأجانب عنها، قال الله تعالى مخاطباً أظهر نساء الأرض: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لَسْنَا بِكَ كَأَسَدٍ مِنَ النَّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتَهُ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ يُقْلَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا» (الأحزاب: ٣٢)؛ لأن خضوع المرأة بالقول يفتح باب زنا الأذن، فكم من رجل عشق امرأة من غير أن يراها، وما ذاك إلا بصوتها، ورقة كلامها.

فقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا، مدرك ذلك لا محالة، فالعينان تزنيان وزناهما النظر، والأذانان تزنيان وزناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطأ، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه».

ومن ذلك أيضاً: غَضُ البصر:

فلقد اتفق العلماء على تحريم النظر إلى جميع بدن المرأة؛ لأن النظر بريد الشر، ولذلك جاء الأمر: «قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يَعِظُكُمْ وَأَعِظَنَّكُمْ وَتَحَفَظَنَ فُرُوجَهُنَّ» (النور: ٣٠، ٣١)، وذلك لأن إدامة النظر سبيل إلى تحصيل اللذة الحرام، وهو سهم مسموم يصيب القلب.

ويتأكد الحكم أيضاً في حق النساء كذلك، فقد روى مالك عن عائشة أنها احتجبت من

أسباب الطلاق والتفكك الأسري



استئساد الزوج على زوجته

جمال عبد الرحمن

اعداد

وقد تعجَّب الرسول الرحيم صلى الله عليه وسلم من أمثال هؤلاء القساة، ومن أحوالهم المتناقضة، وأوضاعهم غير المستقرة، كيف يعيشون؟ كيف يتذوقون؟ كيف هم أزواج؟ فعن هشام بن عروة، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما يستحيي أحدكم أن يضرب امرأته كما يضرب العبد؟ يضربها أول النهار، ثم يضاجعها آخره؛ أما يستحيي؟». (مصنف عبد الرزاق الصنعاني: ٤٤٢/٩).

بل إن الروايات الأخرى للحديث استنكرت أن يضرب الزوج زوجته ضرب الحمير والبهاائم، وإن كان لا يجوز القسوة حتى على تلك الحيوانات.

ففي رواية البخاري من حديث عبد الله بن زعمة قال: «بِمَ يَضْرِبُ أَحَدُكُمْ امْرَأَتَهُ ضَرْبَ الضَّحْلِ، أَوِ الْعَبْدِ، ثُمَّ لَعَلَّه يَعَانِقُهَا» صحيح البخاري (١٥/٨).

فليحذر أهل القسوة والشدة والتنكيل؛ من أن يُحرَموا الرحمة من الخالق الجليل، فقد جاء في حديث جرير بن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يَرْحَمْ» صحيح البخاري (١٠/٨). وليتأس ويقدر بسيد البشرية صلى الله عليه وسلم الذي قال: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي».

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

لقد أباح الإسلام الطلاق كما أباح الزواج، لكنه شدد في طلب الطلاق بغير بأس، ولأسباب واهية؛ ذلك لأن الطلاق آثاره في الغالب مضرة للزوجين، خاصة في حالة وجود أولاد، وكذلك مع رقة الدين، وضعف الإيمان، وغياب التدين والوازع الديني. أما في حالة الاضطرار إلى التفريق بين الزوجين فلا جناح عليهما، وقد قال الله تعالى: «وَلِنْ يَفْرَقَا يَغْنِ اللَّهُ كِلَا مِنْ سَعَتِهِ» وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا (النساء: ١٣٠).

ولقد انتشرت ظاهرة الطلاق انتشار النار في الهشيم، سواء قبل الدخول أو بعده، والواقع المشاهد أقوى دليل على ذلك. وقد ذكرنا في الحلقة الماضية السبب الرابع والخامس من أسباب وقوع الطلاق والتفكك الأسري، ونكمل إن شاء الله فنقول:

من أسباب وقوع الطلاق:

سادساً: استئساد الرجل على زوجته؛

والمقصود هنا باستئساد الرجل؛ أن يتعامل مع زوجته بوحشية، ويقسو عليها في معاملتها، إن تلفظ بفالفحش والبذاءة، وإن امتدت يده فبالغلظة والإساءة. إن شتم يهتك ويُجرَح، وإن ضرب فالضرب المبرح. نزع من قلبه الرحمة، ولم تعرف أخلاقه الشفقة والرفقة، معاملة فظة سافرة، غليظة منفرة، لا تقيم بيتاً ولا تبني أسرة، ولا تربي أولاداً، ولا تؤمن مستقبلاً.



وَقِيلَ عَنْهُ: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ وَلَا إِمْرَأَةً وَلَا خَادِمًا إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». قَالَ النُّووي: فِيهِ أَنَّ ضَرْبَ الزَّوْجَةِ وَالْخَادِمِ وَالْدَّائِيَةِ وَإِنْ كَانَ مُبَاخًا لِلْأَدَبِ فَتَرْكُهُ أَفْضَلُ. وَلِذَلِكَ كَرِهَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يَقُومُونَ بِضَرْبِ زَوْجَاتِهِمْ، وَيَسْتَسْهَلُونَ تِلْكَ الْمَعَارِضَ. فَهَنْ إِيَّاسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي ذَبَابٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُضْرِبُوا إِمَاءَ اللَّهِ» فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: قَدْ ذَرَنْتُ (تَجَرَّأَنْتُ) عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ، فَرَخَّصَ لِهَمٍّ فِي ضَرْبِهِنَّ، فَأُطَافَ بِأَلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاءً كَثِيرًا يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ طَافَ بِأَلِ مُحَمَّدٍ نِسَاءً كَثِيرًا، يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ، لَيْسَ أَوْلَتْكَ بِخِيَارِكُمْ». (سنن الدارمي ح ٢٢٦٥، وإسناده صحيح).

ضعف المرأة:

والمرأة أحد الضعيفين، ضعيفة بطبعها وتكوينها، وسماها النبي صلى الله عليه وسلم هكذا:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَخْرَجُ حَقَّ الضَّعِيفِينَ: الْيَتِيمَ، وَالْمَرْأَةَ». ابْنُ مَاجَهَ ح ٣٦٧٨. وَحَسَنَةُ الْأَلْبَانِي. وَلَفْظُ رَوَايَةِ الْبَيْهَقِيِّ أَحْرَمَ (عَلَيْكُمْ) آيَتُهَا الْأُمَّةُ (حَقُّ الضَّعِيفِينَ) أَيِ أَضْيَقِهِ وَأَحْرَمِهِ عَلَى مَنْ ظَلَمَهَا (الْيَتِيمَ وَالْمَرْأَةَ) وَجْهٌ تَسْمِيَّتُهَا بِالضَّعِيفِينَ ظَاهِرٌ بِلِمْسِ مُحْسُوسٍ.

وقد كان المختار سيدنا صلى الله عليه وسلم يؤكد على رحمة ضعف المرأة، ويشبهها بالزجاجة التي تنكسر مع أهون الأسباب. فَهَنْ أَبِي قَلَابَةَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ

وصية الله ورسوله:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «وَعَاثِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسَّ أَنْ تَكُونُوا بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ اللَّهِ فَيُدْخِلَ اللَّهُ فِيهِ كُفْرًا كَثِيرًا» (النساء: ١٩).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضَلَعٍ، وَإِنْ أَعْوَجَ شَيْءٌ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ». الْبُخَارِيُّ (٣٣٣١). وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي».

أَلَا فَلْيَعْدِلِ الرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ وَنِسَائِهِ، وَلْيَكُنْ مِنَ الْمُقْسِطِينَ حَتَّى يَنَالَ عِنْدَ اللَّهِ الْمَنْزِلَةَ الْعُلْيَا، كَمَا رَوَى مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وَكَلَّمْنَا يَدَيْهِ يَمِينٍ، الَّذِينَ يَغْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلَّوْا».

فَإِذَا لَمْ تَكُنِ الرَّحْمَةُ وَالرَّافِقَةُ، وَالْعَدْلُ وَالْقِسْطُ، سَاءَتْ الْأَحْوَالُ، وَذَهَبَ الْوُدُّ وَالْمُودَةُ، وَبَقِيَ الْخِلَافُ وَالشَّقَاقُ، وَوَقَعَ الْفِرَاقُ وَالطَّلَاقُ.

شبهة والرد عليها:

بعض الرجال يستهتر بضرب النساء جهلاً

ضُرُورَةٌ لَا تَدْفَعُ (يَعْنِي: لَا ذَنْبَ عَلَى مَنْ بِهِ ذَلِكَ، أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ جَبَلَهُنَّ عَلَى مَا يَكُونُ نَقْصًا فِيهِنَّ؟ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ.. وَقَدْ فَضَّلَ اللَّهُ أَيْضًا بَعْضَ الرِّجَالِ عَلَى بَعْضٍ، وَبَعْضَ النِّسَاءِ عَلَى بَعْضٍ، وَبَعْضَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى بَعْضٍ، لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ) اهـ. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٣/٣٢٦).

وقال النووي رحمه الله: نَقَضَ الدِّينَ قَدْ يَكُونُ عَلَى وَجْهِ يَأْتُمُ الْمَرْءَ بِهِ، كَمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ أَوْ الصَّوْمَ أَوْ غَيْرَهُمَا مِنَ الْعِبَادَاتِ الْوَاجِبَةِ عَلَيْهِ بِلَا عَذْرِ، وَقَدْ يَكُونُ عَلَى وَجْهِ لَا إِثْمَ فِيهِ كَمَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ أَوْ الْغَزْوَ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَجِبُ عَلَيْهِ لِعَذْرِ، وَقَدْ يَكُونُ عَلَى وَجْهِ هُوَ مُكَلَّفٌ بِهِ كَتَرَكَ الْحَائِضُ الصَّلَاةَ وَالصَّوْمَ. شرح النووي على مسلم (٢/٦٨).

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

واستهانة بحجة أنهن ناقصات عقل ودين؛ والحق أن ذلك عنصرية بغيضة، ومبرر منحرف.

والحق والصواب ما بينه العلماء في شرح هذا الحديث:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ مِنَ الْاسْتِغْفَارِ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ قَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ قَالَ تَكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَغْلَبَ لَذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ». قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَمَا نَقْصَانُ الْعَقْلِ وَالْدِينِ؟ قَالَ: «أَمَّا نَقْصَانُ الْعَقْلِ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدُلُ شَهَادَةَ رَجُلٍ، فَهَذَا مِنْ نَقْصَانِ الْعَقْلِ، وَتَمَكُّثُ لِيَالِي مَا تُصَلِّي، وَتُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ، فَهَذَا نَقْصَانُ الدِّينِ».

قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى: هَذَا الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ نَقْصَانَ الدِّينِ قَدْ يَقَعُ

تهنئة واجبة

يتقدم رئيس تحرير مجلة التوحيد بأخلص التهاني القلبية للدكتور محمد حنفي علي غنيمي؛ لحصوله على درجة «الدكتوراه» في المخ والأعصاب من كلية الطب جامعة الزقازيق، وكان عنوانها: «مضار الاعتلال المشترك للشقيقة وأمراض فرط التحسس بين الصرع المبهم بمستشفيات جامعة الزقازيق».

وقد تكونت لجنة الحكم والمناقشة من السادة: أ.د/يسرية عبد الحميد الطويل، أ.د/آمال صلاح الدين محمد، أ.د/علي محمد سليمان، من كلية طب الزقازيق.

ومن الخارج أ.د/أحمد جمال عزب، جامعة المنصورة.

أخلص التهاني والتبريكات لابني الغالي الدكتور محمد حنفي علي غنيمي، سائلين المولى عز وجل له مزيداً من التقدم والنجاح.



قصة جبل (ق) المحيط بالأرض

في تفسير (ن)، (ق)



الحلقة (٢١٢)

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على أسنة القصاص والوعاظ، ومما ساعد على انتشارها وجودها في كتب السنة الأصلية، وإلى القارئ الكريم التوجيه والتحقيق:

علي حشيش

اعداد

عنهما حيث ذكره بصيغة الجزم، حيث قال: «وقول ابن عباس»، ولم يذكره بصيغة التمریض فيقول: «رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما» أو: «بلغنا عن ابن عباس» كما بين ذلك أئمة علوم الحديث في «التدريب» (٢٩٧/١)، ولو حققه النسفي لعلم واضعه.

٣- لقد خلط هذا الوضاع الكذاب بين قوله تعالى: «ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ» (القلم: ١)، وبين قوله تعالى: «وَذَا النُّونِ» (الأنبياء: ٨٧)، فمن إفكه جعل «ن» والتي سكونها دليل على أنها من حروف المعجم، مثل «النون» والتي إعرابها يدل على أنها اسم، حيث قال الإمام القرطبي في «تفسيره» قوله تعالى: «وَذَا النُّونِ» (الأنبياء: ٨٧)، هو لقب يونس بن متى لابتلاع النون إياه، والنون هو الحوت» اهـ.

٤- انظر كيف سؤلت لهذا الكذاب نفسه أن يفترى على ابن عباس رضي الله عنهما ليُفسد الدين بهذه الأباطيل هذا الكذاب ذكره الإمام الذهبي في «الميزان» (٧٥٧٤/٥٥٦/٣)، قال: محمد بن السائب الكلبي أبو النصر الكوفي المفسر الأخباري، قال الجوزجاني وغيره: كذاب، وقال ابن حبان: مذهبه في الدين وضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه.

أولاً: أسباب ذكر هذه القصة

١- قد ذكرت روايات حول الحروف المقطعة في أوائل السور، أكثرها واهيات وضعها مبتدعة الإسلام، ولقد بين الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (٥١/١) الأثر السيئ لهذه الواهيات على الأمة فنقل عن أبي الوفا علي بن عقيل أنه قال: «قال شيخنا أبو الفضل الهمداني: مبتدعة الإسلام والواضعون للأحاديث أشد من الملحدين؛ لأن الملحدين قصدوا إفساد الدين من خارج، وهؤلاء قصدوا إفساد الدين من الداخل، فهم كأهل بلد سعوا في إفساد أحواله، والملحدون كالحاضرين من خارج، فالدخلاء يفتحون الحصن، فهو شر على الإسلام من غير الملبسين له».

٢- ومن هذه الروايات التي تفسد الدين، ما ذكره الإمام النسفي في «تفسيره» (٢٧٩/٤) في تفسير قوله تعالى: «ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ» (القلم: ١)، قال: «الظاهر أن المراد هذا الحرف من حروف المعجم، وأما قول ابن عباس: إنه الحوت الذي عليه الأرض واسمه بهموت فمشكل لأنه لا بد له من الإعراب سواء كان اسم جنس أو اسم علم فالسكون دليل على أنه من حروف المعجم».

قلت: إن هذا الإشكال الذي ذكره الإمام النسفي ونسبه إلى الإمام الجبر ابن عباس رضي الله

محمد بن السائب الكلبي صاحب التفسير، قال عبد السلام بن عاصم عن جرير بن عبد الحميد: كذاب، وقال صالح بن محمد البغدادي الحافظ: كان ضعيفاً وكان يضع الحديث أيضاً، وقال أبو حاتم: ذاهب الحديث، متروك الحديث، لا يكتب حديثه البتة، وقال النسائي: متروك.. اهـ.

بهذا يتبين أن «تنوير المقباس من تفسير ابن عباس» للفيروزآبادي رواه من طريق: محمد بن مروان السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهذا السند ذكره الفيروزآبادي (١١٤) مرة قائلاً: «وبإسناده عن ابن عباس».

٨- قال الحافظ السيوطي في «التدريب» (١٨١/١): «أوهى أسانيد ابن عباس مطلقاً؛ السدي الصغير محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عنه».. اهـ.

ثم نقل الحافظ السيوطي: أن الحافظ ابن حجر قال: «هذه سلسلة الكذب لا سلسلة الذهب».. اهـ.

٩- كان لا بد من بيان هذه السلسلة سلسلة الكذب حتى تُنسب الأباطيل المنسوبة كذباً إلى الإمام البحر ابن عباس رضي الله عنهما.

١٠- بهذه السلسلة «سلسلة الكذب» فسرت الحروف المقطعة في أوائل السور ومنها: «ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ» (القلم: ١).

وكذلك: «ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ» (ق: ١).

ونسبوا هذا الكذب المختلق المصنوع إلى ابن عباس رضي الله عنهما، ونتج عن هذا التفسير مسألتان:

الأولى: تفسير (ن) بأنها (الحوت)، وأنه ليس كالحيتان، حيث جعلوا بينه وبين الأرض علاقة.

والثانية: تفسير (ق) بأنها (الجيل)، وأنه ليس كالجبال حيث جعلوا بينه وبين السماء علاقة.

١١- أما عن المسألة الأولى: وهي تفسير (ن) بأنها الحوت وعلاقته بالأرض، قال الفيروزآبادي في «تنوير المقباس من تفسير ابن عباس» (ص ٣٦٣): «وبإسناده عن ابن عباس في قوله تعالى: (ن)، يقول: أقسم الله بالنون وهي السمكة التي تحمل

ثم قال: والكلبي يروي عن أبي صالح، عن ابن عباس- التفسير، وأبو صالح لم يراهن عباس، ولا سمع الكلبي من أبي صالح إلا الحرف بعد الحرف، فلما احتيج إليه أخرجت له الأرض أفلاذ كبدها لا يحل ذكره في الكتب فكيف الاحتجاج».. اهـ. كذا قاله ابن حبان في «المجروحين» (٢/٢٥٥).

٥- وقال الإمام ابن حبان في «المجروحين» (٢/٢٥٤): سمعت محمد بن يحيى السجستاني، يقول: سمعت عبد الصمد بن الفضل يقول: سمعت أحمد بن هارون يقول: سألت أحمد بن حنبل عن تفسير الكلبي؟ فقال: «كذب»، قلت: يحل النظر فيه؟ قال: «لا».. اهـ.

٦- من هذا يتبين أن محمد بن السائب الكلبي، يروي عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما التفسير بهذا السند فيظن من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن هذه الواهيات والأباطيل هي من قول ابن عباس رضي الله عنهما وينسبها إلى الإمام الجبر ابن عباس حتى اتهموا ابن عباس رضي الله عنهما أنه أخذها من الأسرانيات، لذلك كان من أسباب ذكر هذه القصة تبرئة الصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنهما من هذه الأباطيل، والكشف عن العلل التي في سند تفسير الكلبي عن ابن عباس، وهي نفس العلل في التفسير المسمى «تنوير المقباس من تفسير ابن عباس» لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الذي ذكره في مطلع «تنوير المقباس من تفسير ابن عباس»، فقال: أخبرنا عبد الله الثقة ابن المأمور الهروي، قال: أخبرنا أبي قال: أخبرنا أبو عبد الله، قال: أخبرنا أبو عبيد الله محمود بن محمد الرازي، قال: أخبرنا عمار بن عبد المجيد الهروي، قال: أخبرنا علي بن إسحاق السمرقندي، عن محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

٧- ومحمد بن مروان الذي روى هذا التفسير عن الكلبي قال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (١٧/٢٠٦/٢١٨٥): محمد بن مروان السدي الصغير وهو محمد بن مروان بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكوفي روى



رابعاً: قصة جبل (ق) وترفرف السماء عليه:

أخرج الإمام الحافظ ابن أبي حاتم المتوفى سنة (٣٢٧هـ) في تفسيره المسمى «تفسير القرآن العظيم» (٣٣٠٧/١٠) (ح ١٨٦٢٤) قوله: (ق) آية (١) عن ابن عباس قال: خلق الله من وراء هذه الأرض بحراً محيطاً بها، ثم خلق من وراء ذلك جبلاً يقال له (ق) السماء الدنيا مترفرة عليه، ثم خلق الله من وراء ذلك الجبل أرضاً مثل تلك الأرض سبع مرات، ثم خلق من وراء ذلك جبلاً يقال له محيطاً بها، ثم خلق من وراء ذلك جبلاً يقال له (ق) السماء الثانية مترفرة عليه.

حتى عد سبع أرضين، وسبعة أبحر، وسبعة أجبل، وسبع سماوات، قال: وذلك قوله تعالى: «وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ» (لقمان: ٢٧). اهـ.

خامساً: التحقيق:

قال الحافظ ابن كثير المتوفى سنة (٧٧٤هـ) في «تفسير القرآن العظيم» (٢٢١/٤) ط. الحلبي:

١- قوله تعالى: (ق) حرف من حروف الهجاء المذكورة في أوائل السور، كقوله تعالى: (ص)، (ن)، (و)، (الم)، (و)، (حم)، (و)، (طس)، ونحو ذلك. قاله مجاهد وغيره.

٢- ثم قال الحافظ ابن كثير: «وقد روي عن بعض السلف أنهم قالوا: (ق) جبل محيط بجميع الأرض يقال له جبل قاف».

٣- ثم عقب الحافظ ابن كثير على هذا القول فقال: «وكان هذا والله أعلم من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس لما رأى من جواز الرواية عنهم مما لا يصدق ولا يكذب، وعندي أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم يلبسون به على الناس أمر دينهم، كما افترى في هذه الأمة -مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأنمتها- أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وما بالعهد من قدم، فكيف بأمة بيتي إسرائيل مع طول المدى وقلة الحفاظ النقداء فيهم، وشربهم الخمر، وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه، وتبديل كتب الله وآياته».

٤- ثم قال الحافظ ابن كثير: «وانما أباح الشارع

الأرضين على ظهرها وهي في الماء وتحتها الثور، وتحت الثور الصخرة، وتحت الصخرة الثرى ولا يعلم ما تحت الثرى إلا الله، واسم السمكة ليواش ويقال لوتياء، واسم الثور بهموت، وقال بعضهم: تلهوت، ويقال: ليوتا، وذلك الحوت في بحر يقال له عضواص وهو كالثور الصغير في البحر العظيم، وذلك البحر في صخرة جوفاء، وفي تلك الصخرة أربعة آلاف خرق منها خرج المياه إلى الأرض». اهـ.

قلت: ولقد انتشر هذا الخبر الباطل في كثير من التفاسير منسوباً إلى ابن عباس رضي الله عنهما، ومنهم من اختصره، كالإمام التسفي في «تفسيره» (٢٧٩/٤)، حيث نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «(ن) الحوت الذي عليه الأرض واسمه بهموت». اهـ.

قلت: قول الفيروزآبادي وبإسناده عن ابن عباس أي لسلسلة الكذب التي بينها وبينها جاء هذا الخبر الباطل في تفسير (ن) بالحوث الذي يحمل الأرض على ظهره وهو في الماء وتحت الثور.

ثانياً: قصة جبل (ق) ولون السماء

وهي المسألة الثانية: وهي تفسير (ق) في قوله تعالى: «ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ» (ق: ١). قال أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي في «تنوير المقباس من تفسير ابن عباس» (ص ٣٢٤): «وبإسناده عن ابن عباس في قوله تعالى: (ق) يقول هو جبل أخضر محدق بالدنيا وخضرة السماء منه».

ثالثاً: التحقيق:

١- هذا الخبر الباطل جاء بسند من أوهى أسانيد ابن عباس كما بينا آنفاً بسلسلة تسمى «سلسلة الكذب». اهـ.

٢- قال الإمام ابن القيم في «المنار المنيف» (ص ١١١): «ونحن ننبه على أمور كلية، يعرف بها كون الحديث موضوعاً، تنبيه (١٢) قال: «أن يكون الحديث مما تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه». ثم قال: «وهذا وأمثاله مما يزيد الفلاسفة وأمثالهم كضراً». اهـ.

الرواية عنهم في قوله: «وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» فيما قد يجوزه العقل، فأما فيما تحيله العقول، ويحكم فيه بالبطالان، ويغلب على الظنون كذبه فليس من هذا القبيل».

٥- ثم قال الحافظ ابن كثير: «وقد أكثر كثير من السلف من المفسرين، وكذا طائفة كثيرة من الخلف من الحكاية عن كتب أهل الكتاب في تفسير القرآن المجيد وليس بهم احتياج إلى أخبارهم والله الحمد والمنة، حتى إن الإمام أبا محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم بن أبي حاتم الرازي رحمه الله عليه أورد ها هنا أثراً غريباً لا يصح سنده عن ابن عباس رضي الله عنهما فقال: حدثنا أبي، قال: حدثت عن محمد بن إسماعيل المخزومي، حدثنا ليث بن أبي سليم عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خلق الله من وراء هذه الأرض بحراً محيطاً بها، ثم خلق من وراء ذلك البحر جبلاً يقال له (قاف) سماء الدنيا مرفوعة عليه.

ثم خلق الله تعالى من وراء ذلك الجبل أرضاً مثل تلك الأرض سبع مرات، ثم خلق من وراء ذلك بحراً محيطاً بها، ثم خلق من وراء ذلك جبلاً يقال له (قاف) السماء الثانية مرفوعة عليه، حتى عد سبع أراضين، وسبعة أنهر، وسبعة أجبل، وسبعة سموات، قال وذلك قوله تعالى: «وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ» (لقمان: ٢٧)، فإسناد هذا الأثر فيه انقطاع» اهـ.

قلت: ولقد ذكرت كلام الحافظ ابن كثير كلاماً حتى نص الخبر فلا يظن من لا دراية له أني كررت الخبر حيث خرجت الخبر من تفسير الإمام ابن أبي حاتم أنفاً، ولكن بالمقارنة تبين أن: ١- تفسير ابن أبي حاتم (طبعة المكتبة العصرية ببيروت) هذا الخبر محذوف فيه السند، وقال: «عن ابن عباس» بينما عند الحافظ ابن كثير ذكره بسنده عن ابن عباس وتبين أنه أثر غريب لا يصح منقطع.

٢- أما المتن ففي تفسير ابن أبي حاتم لفظه: جبل (ق) السماء (مترهفة عليه) بينما عند ابن كثير اللفظ الذي نقله عن ابن أبي حاتم:

جبل (ق) السماء (مرفوعة عليه).

قلت: واللفظان مترادفان بهما تظهر النكارة الشديدة للمتن؛ حيث جعل سبعة أجبل كل جبل يسمى قاف وكل سماء من السماوات السبع مرفوعة على جبل دائري، وهذا كذب، لأن الله تبارك وتعالى رفع السموات بغير عمد، فقال سبحانه: «اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ» (الرعد: ٢)، ولقد بين الله كذب هؤلاء الوضاعين فقال تعالى: «خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ رَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْنًا أَنْ يَنبِتَ لَكُمْ» (لقمان: ١٠).

قلت: فهذا الخبر الباطل ينطبق عليه تمام الانطباق أمر من الأمور الكلية التي قال عنها الإمام ابن القيم في «المنار المنيف» فصل (٦) «بها يعرف كون الحديث موضوعاً»، فقال: «ومنها مخالفة الحديث صريح القرآن» اهـ.

سادساً: تبرئة ابن عباس رضي الله عنهما:

بعد بيان هذا الكذب المنسوب لابن عباس ندحض فرية المستشرقين الذين اتهموه بأنه كان يأخذ عن أهل الكتاب ويسألهم، فهذا الافتراء لا يقول به إلا جاهل بالسنة جهلاً مركباً؛ لأنه جاهل ويجهل أنه جاهل؛ ففي صحيح البخاري رد على هذه الفرية، فقد بوب الإمام البخاري في صحيحه باباً في كتاب «الاعتصام بالكتاب والسنة» (٢٥) باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء» (ح٧٣٦٣): «كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ وَكِتَابُكُمْ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدٌ تَقْرَأُ مِنْهُ مُحْضًا لَمْ يُشَبَّ، وَقَدْ حَدَّثَكُمْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ بَدَّلُوا كِتَابَ اللَّهِ وَغَيَّرُوهُ، وَكَتَبُوا بِأَيْدِيهِمُ الْكِتَابَ، وَقَالُوا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً، أَلَا يَنْهَاكُمْ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ عَنْ مَسْأَلَتِهِمْ، لَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِنْهُمْ رَجُلًا يَسْأَلُكُمْ عَنِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ». وأخرجه أيضاً الإمام البخاري في «صحيحه» (ح٢٦٨٥) (ح٧٥٣٣) عن ابن عباس قال: «يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء... الحديث. هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.



قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

جماهير أئمة أهل السنة في القرن الخامس الهجري، على إثبات استوائه تعالى على عرشه، وفق نهج النبي عليه السلام وخير القرون.. خلافاً لمن أبوا إلا اتباع الجهم والمعتزلة والخوارج في تأويلهم الاستواء بالاستيلاء

إعداد: د. محمد عبد العليم الدسوقي

الأستاذ بجامعة الأزهر

لأخبار ونصوص الصفات، فألف القاضي أبو يعلى ت ٤٥٨ كتابه (إبطال التأويلات لأخبار الصفات) ردّاً على تأويلاته، وحصلت على إثر ذلك فتنة، عندها أمر الخليفة العباسي (القائم بالله ابن القادر بالله) أن يُشهر ما عُرف بـ (الاعتقاد القادري) الذي فيه: "وأنه تعالى خلق العرش لا لحاجة، واستوى عليه كما شاء لا استواء راحة"، وأن يُقرأ على الأمة بعد أن أخذ توقيعات العلماء على الإقرار بأنه المعتقد الصحيح، وكان ابن فورك ضمن من أذن له، وقال عبارته التي ساقها له ابن الجوزي وغيره: "لا اعتقاد لنا إلا ما اشتمل عليه هذا الاعتقاد".

ويؤكد تراجع ابن فورك: ما ذكره شيخ الإسلام في (نقض تأسيس الجهمية) ٣٣٢/٢، قال: "المعروف عن ابن فورك، هو ما عليه وأئمة أصحابه: من إثبات أن الله فوق العرش، كما ذكر ذلك في غير ما موضع من كتبه وحكاه عن الأشعري وابن كلاب وارتضاه"، لكن؛ شأنه شأن غيره ممن تراجعوا- وهذا من شديد ما يؤسف له- تترك مراجعاتهم، ويدّعون وينشرون ما كانوا عليه قبل من ضلال.

هذا، ومما ذكره البيهقي ت ٤٥٨ في باب الاستواء، قوله في (الاعتقاد على مذهب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد: فمنذ أن ظهرت مقولة الجهم بن صفوان- الذي انتشرت بدعته بترمز وأخذ منه المعتزلة والكرامية والخوارج القول بنفي صفات الله الأزلية، وبألف في تعطيلها لحد أن ترك الصلاة أربعين يوماً قاتلاً؛ (إذا ثبت عندي من عبده صليته له)، فما كان من الوالي سالم بن أحوز إلا أن أنكر عليه ثم ضرب عنقه- وعبارات أئمة أهل السنة والجماعة تتوالي لرد مزاعمه وطريقته في التعطيل، جزئياً كان هذا التعطيل أم كلياً.. وقد سبق بيان أن طريقته في نفي صفات الله جاءت مخالفة لما كان عليه النبي وصحابته وأرباب القرون الفاضلة، ثم من تبعهم من أئمة القرنين الثالث والرابع، ونذكر من أقوال أئمة القرن الخامس في إثبات صفة الاستواء وبطلان تأويلها بالاستيلاء:

١- طرفاً من نصوص أئمة أهل السنة وأعلام القرن

الخامس في إثبات صفة الاستواء وسوقهم الإجماع عليه

قول شيخ أهل خراسان، العلامة ابن فورك ت ٤٠٦، فيما حكاه له تلميذه البيهقي في الأسماء والصفات ص ٥٦٣: "استوى بمعنى: علا"، وقد أمعن قبل في تعطيل صفات الخالق وتأويلها وإخراجها عن ظاهرها، وألف في ذلك: (تأويل مشكل الحديث) وهو ملئ بالتأويلات



السلف وأصحاب الحديث) ص ٨٩ وقد نقله عنه الذهبي في العلو ص ١٨٥-: "قال تعالى: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) (طه: ٥)، (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْمَرْيِ) (الأعراف: ٥٤)، (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عَرْشِهِ) (الأنعام: ٦١)، (عَمَّا يُنْهَوْنَ مِنَ الْقَوْمِ) (النحل: ٥٠)، (إِلَى يَصْعَدُ الْكَلْبُ الطَّيِّبُ) (فاطر: ١٠)، (مَا آمَنُكُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ) (الملك: ١٦) وأراد: (من فوق السماء) كما قال تعالى: (فِي جُذُوعِ النَّخْلِ) (طه: ٧١)، بمعنى: على جذوع النخل وقال: (فَيَسْجُدْ لِرَبِّ الْأَرْضِ) (التوبة: ٢) أي على الأرض، وكل ما علا فهو سماء والعرش أعلى السماوات، فمعنى الآية: آمنتم من على العرش، كما صرح به في سائر الآيات، وفيما كتبناه من الآيات دلالة على إبطال قول من زعم من الإجمالية بأن الله بذاته في كل مكان؛ وقوله: (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ) (الحديد: ٤) إنما أراد بعلمه لا بذاته".

ذلك أن لو كان بذاته "في كل مكان لكان في بطن الإنسان وفمه وفي الحشوش، ولوجب أن يزيد بزيادة الأمكنة إذا خلق فيها ما لم يكن، ولصح أن يرغب إليه إلى نحو الأرض وإلى خلفنا ويميننا وشمالنا، وهذا ما أجمع المسلمون على خلافه وعلى تخطئة قائله"، كذا ذكره أبو بكر الباقلاني ت ٤٠٣ في (الإبانة) له، وقد نقله عنه الذهبي في العلو ص ١٧٣، وكلاماً مثل هذا ذكره في كتاب (التمهيد) له.

وكان الذهبي قد نقل عن القاضي ابن الباقلاني بنفس المصدر وعقيب ما سبق، قوله في كتابه (الذب عن أبي الحسن الأشعري): "وكذلك قولنا في جميع المروي عن رسول الله في صفات الله إذا صح من إثبات البيدين والوجه والعينين، ونقول: إنه يأتي يوم القيامة في ظلل من الغمام، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا كما في الحديث، وأنه مستو على عرشه" .. إلى أن قال: "وقد بينا دين الأئمة وأهل السنة، أن هذه الصفات تمر كما جاءت بغير تكييف ولا تحديد ولا تجنيس ولا تصوير، كما روي عن الزهري وعن مالك

في الاستواء، فمن تجاوز ذلك فقد تعدى وابتدع وضل".

ولك أن تتأمل ثناء الذهبي على ابن الباقلاني، وعزائه فيه وقوله عنه وقد ابتلياً بما ابتلينا به: "أين مثله في تبحره وذكائه وبصره بالملل والنحل؟، فلقد امتلأ الوجود بقوم لا يدرون ما السلف، ولا يعرفون إلا السلب ونفي الصفات وردها، صم بكم عتم عجم، يدعون إلى العقل ولا يكونون على النقل، فإننا لله وإنا إليه راجعون"، وعبرة الذهبي التي يعرب فيها هو الآخر عن أسفه لحال الأشاعرة، نصها: "لو انتهى أصحابنا المتكلمون إلى مقالة أبي الحسن ولزموها لأحسنوا، ولكنهم خاضوا كخوض حكماء الأوائل في الأشياء، ومشوا خلف المنطق، فلا قوة إلا بالله"، كذا في العلو ص ١٦٣.

ب- الأئمة: اللالكائي والظلمنكي والأصبهاني والسجزي والصابوني وابن عبد البر يسوقون الإجماع على إثبات استوائه تعالى على عرشه

ومما جاء عن اللالكائي ت ٤١٨ قوله في (شرح أصول السنة) ٣١٩/١: "سياق ما روي في قوله: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) (طه: ٥)، وأن الله على عرشه في السماء"، "قال عز وجل: (إِلَى يَصْعَدُ الْكَلْبُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ رَفْعَةً) (فاطر: ١٠)، وقال: (مَا آمَنُكُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ) (الملك: ١٦)، وقال: (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عَرْشِهِ) (الأنعام: ٦١)، فدللت هذه الآيات أنه في السماء وعلمه بكل مكان، روى ذلك عن عمرو ابن مسعود وابن عباس وأم سلمة، ومن التابعين: ربيعة وسليمان التيمي ومقاتل بن حيان، وبه قال مالك والثوري وأحمد"، وجعل يسوق آثارهم الواردة عنهم في ذلك.

وفي حوار مع المخالفين يقول الحافظ أبو عمرو الظلمنكي ت ٤٢٩ في كتابه (الوصول إلى معرفة الأصول)- وهو في العلو ١٧٩-: "أجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله: (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ) (الحديد: ٤)، ونحو ذلك من القرآن: أنه علمه، وأنه تعالى فوق



السموات بذاته مستو على عرشه كيف شاء، وقال أهل السنة في قوله (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) (طه/٥): إن الاستواء من الله على عرشه على الحقيقة لا على المجاز.

ومما جاء عن أبي نعيم الأصبهاني ت ٤٣٠ في كتابه (الاعتقاد) قوله: "طريقتنا طريقة السلف المتبعين للكتاب والسنة واجماع الأمة، ومما اعتقدوه: أن الله لم يزل كاملاً بجميع صفاته القديمة، لا يزول ولا يحول.. وأن الأحاديث التي ثبتت في العرش واستواء الله عليه، يقولون بها ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل، وأن الله بائن من خلقه والخلق بائنون منه، لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم، وهو مستو على عرشه في سمائه من دون أرضه".

وممن ساق على ذلك الإجماع من غير من ذكرنا: الحافظ أبو نصر السجزي ت ٤٤٤، قال في (الإبانة) له وهو في العلو ص ١٨٠: "أنمتنا كسفيان الثوري ومالك وحماد بن سلمة وحماد بن زيد وسفيان بن عيينة والفضيل وابن المبارك وأحمد وإسحاق، متفقون على أن الله بذاته فوق العرش وعلمه بكل مكان.. وشيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني ت ٤٤٩، قال في كتابه (عقيدة السلف وأصحاب الحديث) ص ٤٤: "ويعتقد أصحاب الحديث ويشهدون أن الله فوق سبع سمواته على عرشه كما نطق به كتابه"، إلى أن قال بعد أن توسع وبدأ في ذكر الآيات ثم ثنى بذكر الأحاديث والأشعار: "وعلماء الأمة وأعيان الأئمة من السلف لم يختلفوا أن الله على عرشه، وعرشه فوق سمواته، يثبتون من ذلك ما أنبته تعالى ويؤمنون به، ويصدقون الرب في خبره، ويطلقون ما أطلقه سبحانه من استوائه على العرش ويؤمنونه على ظاهره، ويكلمون علمه إلى الله".

ولابن عبد البر حافظ المغرب ت ٤٦٣، قوله في التمهيد ٤٥/٤ لما انتهى إلى شرح حديث النزول: "هذا حديث صحيح لا يختلف أهل الحديث في صحته.. وفيه دليل على أن الله

في السماء على العرش فوق سبع سموات كما قال الجماعة، وهو من حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم: إن الله في كل مكان وليس على العرش، والدليل على صحة ما قاله أهل الحق في ذلك" وطفق يسرد أي الاستواء والفوقية والعلو والعروج إليه، ثم أتبع ذلك بقوله: "وهذه الآيات كلها واضحات في إبطال قول المعتزلة، وأما ادعاؤهم المجاز في الاستواء وقولهم في تأويل (استوى): (استولى)، فلا معنى له، لأنه غير ظاهر في اللغة، ومعنى الاستيلاء في اللغة، المغالبة، والله لا يغالبه ولا يعلوه أحد.. وأردف يقول: "ومن حق الكلام أن يُحمل على حقيقته، حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز، إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا إلا على ذلك، وإنما يوجه كلام الله إلى الأشهر والأظهر من وجوهه ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم، ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع، ما ثبت شيء من العبارات، وجل الله عن أن يُخاطب إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين، والاستواء معلوم في اللغة ومفهوم، وهو العلو والارتفاع على الشيء"، ثم قال بعد أن ساق في ذلك كلام أبي عبيدة وأبي ربيعة الأعرابي، ورد شبهات من انتصر لتأويل الاستواء:

"ومن الحجة أيضاً على أن الله على العرش فوق السموات السبع: أن الموحدين أجمعين من العرب والعجم إذا كرههم أمر أو نزلت بهم شدة، رفعوا وجوههم إلى السماء يستغيثون ربهم، وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يُحتاج إلى أكثر من حكايته، لأنه اضطرار لم يؤنبهم عليه أحد، ولا أنكره عليهم مسلم"، ثم قال بعد أن رد المزيد من شبهات المعطلة وساق عبارة مالك وربيعة: "وأما احتجاجهم بقوله: (مَا يَكُونُ مِنْ شَيْءٍ لَّنْزِلِ إِلَّا هُوَ رَافِعُهُمْ) (المجادلة/٧)، فلا حجة لهم في ظاهر هذه الآية، لأن علماء الصحابة والتابعين قالوا في تأويل هذه الآية: هو على



العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يُحتج بقوله: "هـ".

ج- وعلى نفس الدرب سار بقية الأمة أهل السنة.. دون أن يشذ منهم أحد

ومن غير من ذكرنا، قال العلامة محمد بن موهب المالكي ت ٤٠٦ في شرح رسالة ابن أبي زيد: "قوله: إنه فوق عرشه المجيد بذاته، فمعنى «فوق» و«على» عند جميع العرب واحد، وفي كتاب الله وسنة رسوله تصديق ذلك"، ثم ذكر النصوص من الكتاب والسنة، واحتج بحديث الجارية وحديث الأسراء، وعقب يقول: "وقد تأتي لفظة (في) في لغة العرب بمعنى (فوق)، كقوله: (فَأَمْشُوا فِي مَنَاجِبِهَا) (الملك/١٥)، و(فِي حُدُودِ النَّحْلِ) طه/٧١، و(وَأَيُّكُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ) (الملك/١٦)، قال أهل التفسير: وهذا قول مالك فيما فهمه عن جماعة ممن أدرك من التابعين، فيما فهموه من الصحابة، فيما فهموه عن النبي صلى الله عليه وسلم: أن الله في السماء، بمعنى: فوقها وعليها.. فتبين أن علوه فوق عرشه، إنما هو بذاته، لأنه بائن عن جميع خلقه بلا كيف، وهو في كل مكان من الأمكنة المخلوقة بعلمه لا بذاته، إذ لا تحويه الأماكن لأنه أعظم منها، قد كان ولا مكان"، إلى أن قال: "فلما أيقن المنصفون إفراد ذكره بالاستواء على عرشه بعد خلق سمواته وأرضه، وتخصيصه بصفة الاستواء، علموا أن الاستواء هنا غير الاستيلاء، وأقروا بوصفه بالاستواء على عرشه وأنه على الحقيقة لا على المجاز، ووقفوا عن تكييف ذلك وتمثيله، إذ ليس كمثله شيء".

كما جاء في وصية شيخ الصوفية معمر بن أحمد بن زياد الأصبهاني ت ٤١٨ إبان سرده لـ "ما كان عليه أهل الحديث وأهل التصوف والمعرفة"، ما نصه: "أحببت أن أوصي بوصية من السنة"، وذكر أشياء إلى أن قال فيها: "وأن الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل، والاستواء معقول والكيف مجهول،

وأنه بائن من خلقه والخلق باننون منه، فلا حلول ولا مازجة ولا ملاصقة.. إلخ". كما جاء عن الإمام أبي زكريا السجستاني ت ٤٢٢، قوله في رسالته: "لا نقول كما قالت الجهمية: إنه تعالى مداخل للأمكنة وممازج بكل شيء ولا نعلم أين هو؟، بل نقول: هو بذاته على العرش وعلمه محيط بكل شيء، وعلمه وسمعه وبصره وقدرته مدركة لكل شيء، وذلك معنى قوله: (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ) (الحديد/٤)، وهذا الذي قلناه، هو كما قال الله وقال رسوله "كذا في العلو للذهبي ص ١٧٧، ١٧٨".

ولأبي الفتح سليم بن أيوب الرازي الفقيه والمفسر ت ٤٤٧، قوله في تفسير: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) طه/٥: "قال أبو عبيدة: (علا)، ثم قال بعد أن ذكر آية: (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) (الأعراف/٥٤): "استوى في اليوم السابع"، قال الحافظ الذهبي في العلو ص ١٨٠ معلقاً: "وهكذا سائر تفسيره على الإثبات لا على النفي".

ولشيخ الإسلام البصير باللغة العالم بالتفسير والحديث أبي إسماعيل الهروي ت ٤٨١، وتحت عنوان: "باب استواء الله على عرشه فوق السماء السابعة بائناً من خلقه، من (الكتاب) و(السنة)"، قوله في كتابه (الضاروق) وبعد أن ساق الأدلة من الآيات والأحاديث: "وفي أخبار رشتي أن الله في السماء السابعة على العرش بنفسه، وهو ينظر كيف تعملون، وعلمه وقدرته واستماعه ونظره ورحمته في كل مكان".. وللفقيه نصر المقدسي ت ٤٩٠ قوله في كتاب (الحجة) له: "وأن الله مستو على عرشه، بائن من خلقه كما قال في كتابه"، كذا في العلو ص ١٩٠، ١٨٧..

هذا ما تيسر ذكره من نصوص واجتماعات علماء القرن الخامس، والا فالكلام عنهم في ذلك لا ينتهي..

والى لقاء آخر نستكمل الحديث..

والحمد لله رب العالمين.



نظرات في السيرة النبوية

الحلقة الثانية

خصائص سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وثمرتها

د. سعيد صوابي

الأستاذ بجامعة الأزهر

والأُمِّيُّ الْمُعَلِّمُ، والتاجر الصدوق، والزوج المثالي...
وصدق الله في وصفه له وثناؤه عليه إذ يقول:
«وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ
تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا» (النساء: ١١٣).

ولا تكاد سورة من سور القرآن تخلو عن ذكر
له تصريحاً، كالسور التي اختصت بالحديث عنه
صلى الله عليه وسلم، مثل: سورة الضحى، والشرح،
والكوثر، والنصر... وأما غيرها من سور القرآن
الكريم؛ ففي كل منها حديث عنه صلى الله عليه
وسلم أو إشارة إليه تلميحاً، مثل سورة الإخلاص
فإن أول لفظ فيها ينبئ أنه صلى الله عليه وسلم
هو المكلف بالتبليغ، وقد بلغ الناس كل ما أوحاه
إليه ربه: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» (الإخلاص: ١).

وسورة المسد؛ فإن أبا لهب وزوجه ما حل بهما
البوار والخسار إلا بإيذائهما لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وعنادهما لدعوته. كما لا تخلو
ترجمة أحد من أصحابه صلى الله عليه وسلم من

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على
رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

فإن علم السيرة النبوية من أجل وأشرف
العلوم الدينية، لأن موضوعه ذات النبي صلى الله
عليه وسلم وصفاته، وسيرته وحياته.

فسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛
فسيحة الأرجاء، متسعة الجوانب والأنحاء؛ حيث
انتشرت في طول الزمان، وشملت عموم المكان؛
فما بعث الله نبياً إلا وبشر به قومه، وكلفهم
بتصديقه ومؤازرته، والإيمان به ومناصرته؛
إذا أدركوا زمانه، وشهدوا بعثته وحياته، قال

تعالى: «وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ
كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ
بِهِ وَلَتُنصُرُنَّهُ قَالَ أَعِزَّنَا مِنْ ذَلِكَ إِنْ كُنْتُمْ إِسْرَارًا
أَقْرَبْنَا قَالَ فَاسْتَهْذُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الْمُهَيِّدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّى
بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» (آل عمران: ٨١-٨٢).

ولا يوجد في الدنيا حدث ولا حركة إلا
ولرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه المثل
الأعلى، فهو صلى الله عليه وسلم اليتيم المرئى،

حديث له أو سيرة عنه، وقد اجتمع منهم حوله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع نحو مائة وثلاثين ألفاً؛ يقتدون به ويسمعون منه ويتلقون عنه، وقد جمع الحافظ ابن حجر أكثر من اثني عشر ألف صحابي وصحابية في كتابه (الإصابة).

ثم إن سيرته صلى الله عليه وسلم ممتدة بعد لحوقه بالرفيق الأعلى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ وذلك في شخص كل مؤمن ومؤمنة يحسن التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم ويتبع سنته... فلا يعمل أحد في الخافقين خيراً إلا ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو الدال عليه، ولا يتوقى في الدارين شر إلا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد حذر منه، قال سبحانه وتعالى: ﴿اعْلَمُوا أَن فِئَكُم رَسُولَ اللَّهِ لَا يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَمَنِعٌ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبُكُمْ إِلَيْنِمْ وَرَبُّهُمْ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرِهَ إِلَيْنِمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْإِغْيَاثَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاغِبُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَّ مَنَ اللَّهِ وَبِعَمَّةٍ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾ (الحجرات: ٧-٨).

وبهذا؛ كانت سيرته صلى الله عليه وسلم أكبر دليل على نبوته؛ كما قال الإمام ابن حزم في بيان عظيمة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ما نصه: «وأما محمد صلى الله عليه وسلم فلا يختلف أحد في مشرق الأرض ومغربها أنه صلى الله عليه وسلم أتى إلى قوم لقاح (قوم لقاح، أي: لم يخضعوا للملوك، ولم يملكوا، ولم يُصِبهُم في الجاهلية سبى. المعجم الوسيط ص: ٨٣٤) لا يقرون بملك ولا يطيعون لأحد ولا ينقادون لرئيس، نشأ على هذا آباؤهم وأجدادهم وأسلافهم منذ ألوف من الأعوام، قد سرى الفخر والعز والنخوة والكبر والظلم والأنفة في طباعهم، وهم أعداد عظيمة قد ملؤوا جزيرة العرب... قد صارت طباعهم طباع السباع، وهم ألوف الألوف؛ قبائل وعشائر، يتعصب بعضهم لبعض أبداً، فدعاهم صلى الله عليه وسلم بلا مال ولا أتباع؛ فلم يطعه قومه؛ بل خذلوه وعادوه... ثم تبدلت طباعهم بقدرة الله تعالى من الظلم إلى العدل ومن الجهل إلى العلم ومن الفسق والقسوة إلى العدل العظيم... وأسقطوا كلهم أولهم عن آخرهم طلب الثار، وصحب الرجل منهم قاتل ابنه وأبيه وأعدى الناس له؛ صحبة الإخوة المتحابين؛ دون

خوف يجمعهم، ولا رياسة يتفردون بها.. ولا مال يطلبونه، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتُ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَفَلْتُ بِكَ قُلُوبَهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال: ٦٣).

وأيضاً؛ فإن سيرة محمد صلى الله عليه وسلم لمن تدبرها؛ تقتضي تصديقه ضرورة، وتشهد له بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حقاً، فلو لم تكن له معجزة غير سيرته صلى الله عليه وسلم لكفى؛ وذلك أنه صلى الله عليه وسلم نشأ كما قلنا في بلاد الجهل لا يقرأ ولا يكتب، ولا خرج عن تلك البلاد قط إلا خرجتين؛ إحداهما؛ إلى الشام وهو صبي مع عمه إلى أول أرض الشام ورجع، والأخرى أيضاً؛ إلى أول الشام ولم يطل بها البقاء، ولا فارق قومه قط، ثم أوطاه الله تعالى رقاب العرب كلها فلم تتغير نفسه ولا تغيرت سيرته صلى الله عليه وسلم إلى أن مات؛ ودرعه مرهونة في شعر لقوت أهله أصواع ليست بالكثيرة، ولم يبت قط في ملكه دينار ولا درهم، وكان يأكل على الأرض ما وجد، ويخفف نعله بيده، ويرقع ثوبه، ويؤثر على نفسه... وهذا أمر لا تسمح به نفس ملك من ملوك الأرض؛ ولا أحد من أهل الدنيا من أصحاب بيوت الأموال بوجه من الوجوه، (الفصل في الملل لابن حزم: ٣٤١/١-٣٤٣ بتصرف).

قاله جل جلاله هو المتفضل على نبيه صلى الله عليه وسلم بكل خير، والعاصم له صلى الله عليه وسلم من كل شر، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٣).

وكفى رسول الله صلى الله عليه وسلم عزاً وتكريماً... ما خصه به ربه في الدنيا والآخرة؛ كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا آتَيْنَاكَ الْكُوفَرِ ﴿١﴾ فَضْلَ رَبِّكَ وَالْعَمْرُ ﴿٢﴾ إِنَّكَ شَائِئُكَ هُوَ الْأَكْبَرُ، (سورة الكوثر: ١-٣).

ومن ثم؛ افترض الله على المؤمنين محبته صلى الله عليه وسلم وأوجب عليهم طاعته، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ



لَكَرُؤُونُكَ وَاللَّهُ عَمُّورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٥﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (آل عمران: ٣١-٣٢)،
وقال سبحانه: «الَّذِي أَوَّلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ»
(الأحزاب: ٦).

وأخرج الشيخان وغيرهما من حديث أنس بن
مالك قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ
وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»، وفي رواية لمسلم:
«لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ
وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ».

وعند البخاري وغيره عن عبد الله بن هشام
قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ آخِذٌ
بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ!
لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا وَالَّذِي نَفْسِي
بِيَدِهِ: حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ» فَقَالَ لَهُ
عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ، وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي،
فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الآنَ يَا عُمَرُ».

قال القاضي عياض وغيره: «المحبة ثلاثة
أقسام: محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد،
ومحبة شفقة ورحمة كمحبة الولد، ومحبة
استحسان وموافقة كمحبة سائر الناس، فجمع
الله لثنيبه صلى الله عليه وسلم أصناف المحبة،
وحقق فيه كل أسبابها، وكل من استكمل الإيمان،
علم أن حق النبي صلى الله عليه وسلم أكد عليه
من حق أبيه وابنه والناس أجمعين، لأنه الهادي
من الضلال والمنقذ من النار، ومن محبته صلى
الله عليه وسلم: نصرة سنته، والدُّبُّ عن شريعته،
وتمني حضور حياته، حتى يبذل نفسه وماله
فداءً له صلى الله عليه وسلم» (شرح النووي
لصحيح مسلم: ٢١٩/١، وفتح الباري: ٥٨/١، ٦٠).

ولذا كانت دراسة السيرة النبوية: ليحقق
المسلم في نفسه الأسوة في النبي صلى الله عليه
وسلم والاقتداء به صلى الله عليه وسلم قولاً
وعَمَلًا ومنهجًا وسلوكًا وأدبًا وأخلاقًا... وليؤصل
كل مؤمن في قلبه الحب للنبي صلى الله عليه وسلم
بمعرفته لأفضاله وخصائصه وصفاته الخلقية
منها والخلقية، وإن كانت الصفات الجسمية لا

يستطيع أحد أن يتأسى فيها بأحد، لأن الخلق
بيد المصور سبحانه، لكن حُسن الصورة وكمال
الهيئة: أحد أسباب المحبة التي تتعمق عناصرها
وتتجمع أسبابها؛ إذ الحب يكون: لجلب نفع، أو لدفع
ضرر، أو لصفة في الشيء ذاته، وقد تحققت هذه
الثلاثة واجتمعت في شخص رسول الله صلى الله
عليه وسلم وصفاته.

ومن هنا: كانت دراسة الخصائص والميزات،
والخوارق والمعجزات والأوصاف الخلقية للنبي
محمد خير البرية: مصاحبة لدراسة الأحداث
والعبادات، والأحوال والمعاملات، والصفات الخلقية
التي بلغ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسمى
الدرجات، حتى أثنى عليه ربُّه واصفاً ومادحاً
بقوله: «وَأَنَّكَ لَكَلِّ خَلْقٍ عَظِيمٍ» (القلم: ٤).

ومما يزيد هذا العلم رفعةً وسمواً، وتقديراً
وعلواً: أن دراسته التحليلية، وقضاياه الأساسية:
مستمدة من صريح القرآن الكريم والأحاديث
النبوية الحسنة منها والصحيحة؛ التي تجمع
عناصر البحث وجزئياته وتستوفي قضاياها
وموضوعاته، وسرد وقائعها مستفاداً كذلك من
المقبول من الأخبار، والثابت المروي من الآثار؛
بعيداً عن كل زيف ودخيل، أو شبه وأباطيل،
ونقياً من كل ما جمعه حاطبو الليل من المؤرخين،
أو دسه أعداء الإسلام من المستشرقين، وغيرهم
من الحانقين الشائئين لهذا النبي وهذا الدين،
وإن دعت حاجة لنقل شبهة فإني أعقب عليها بما
يدحضها ويزيلها.

وبالرغم من وفرة هذه الخصائص، وكثرة تلك
الميزات للسيرة النبوية: فإن العجز ملازم لكل من
كتب فيها، والقصور واضح في كل من حاول جمعها؛
وذلك بسبب وفرة الكمالات في كل حال من أحواله
صلى الله عليه وسلم، وكثرة الفضائل في كل شأن
من شؤونه صلى الله عليه وسلم، وكل ما دُون
من سيرته، وصُنِفَ في شمائله: إنما هو محاولة
للتعرف على حقيقة قدره العظيم وخلقته الكريم،
وكماله البشري ووصفه الزكي، وغير ذلك من
أحواله وشمائله صلى الله عليه وسلم. **وللحديث**

بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.



تراجم أئمة القراءات الإمامان حمزة الزيات وخلفه البزار

د. أسامة صابر



المختبين)، هذا خبر القرآن.

وقال محمد بن فضيل: ما أحسب أن الله يدفع الياء عن الكوفة إلا بحمزة.

وقال الكسائي عنه: هو إمام من أئمة المسلمين، وسيد القراء والزهاد.

قال أسود بن سالم: سألت الكسائي عن الهمز والإدغام ألكم فيه إمام؟ قال: نعم، حمزة كان يهمز ويكسر، وهو إمام لو رأيته لقرت عينك من نسكه.

وقال أبو حنيفة لحمزة: شيئا غلبتنا عليهما، لستنا ننازعك فيهما، القرآن والفرائض.

وقال عبيد الله بن موسى: ما رأيت أحدا أقرأ من حمزة.

وما ورد من طعن بعض الأئمة على قراءته فيجيب عليه بأنهم سمعوا من نقل قراءته وبإلغ في تحقيق الهمز أو الإمالة حتى خرج عن حد القراءة الصحيحة وكان حمزة رحمه الله ينكر على من فعل ذلك، ويقول لمن يفرط عليه في المد والهمز، لا تفعل أما علمت أن ما كان فوق البياض فهو برص، وما كان فوق الجعودة فهو قشط، وما كان فوق القراءة فليس بقراءة، وقال الإمام الذهبي: «والآن فقد انعقد الإجماع على صحة قراءة حمزة، ولله الحمد».

وكان شعيب بن حرب يقول لأصحاب الحديث: «ألا تسألوني عن الدر، قراءة حمزة».

من أخلاقه وأحواله:

الورع: ختم عليه رجل من أهل حلوان من مشاهيرهم، فبعث إليه بألف درهم، فقال لابنه: قد كنت أظن لك عقلا، فأخذ على القرآن أجرا، أرجو على هذا الفردوس. وقال خلف بن تميم: مات أبي وعليه دين، فأتيت حمزة ليكلم صاحب الدين، فقال لي: ويحك إنه يقرأ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فلا يزال الحديث متصلاً عن ترجمة أئمة القراءات، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

حمزة الزيات:

هو حمزة بن حبيب بن عمار بن إسماعيل الإمام أبو عمار الدؤلي التيمي مولاهم القارئ العلامة، مولى آل عكرمة بن ربيعي التيمي الزيات، أحد القراء السبعة، لقب بالزيات لأنه كان يجلب الزيت من العراق إلى حلوان، ويجلب الإجن والجوز منها إلى الكوفة.

ولد سنة ثمانين، وأدرك الصحابة بالنسب لا بالأخذ. قرأ القرآن عرضاً على الأعمش، وابن أبي ليلى، ومنصور، وأبي إسحق السبيعي، وغيرهم.

وحدث عن طلحة بن مصرف، وحبيب بن أبي ثابت، والحكم، وعمرو بن مرة، ومنصور، وغيرهم. وحديثه مخرج في صحيح مسلم وفي السنن الأربعة.

وقرأ عليه: الكسائي، وسليم بن عيسى - وهما أجل أصحابه - وسفيان الثوري، وقد عرض عليه القرآن أربع عرضات، وشريك، وأبو الأحوص، وجريز بن عبد الحميد، وزائدة بن قدامة، ويوسف بن أسباط، وإبراهيم بن أدهم، وغيرهم.

وإليه صارت الإمامة في القراءة بعد عاصم والأعمش.

ثناء العلماء عليه:

قال الإمام الذهبي: «كان حجة، قيماً بحفظ كتاب الله، حافظاً للحديث، بصيراً بالفرائض والعربية، عابداً خاشعاً متبتلاً قانتاً لله، شخين الورع، عديم النظير».

قال الإمام الشاطبي - رحمه الله -:

وحمزة ما أذكاه من متورع

إماماً صبوراً للقرآن مرتلاً

قال أبو عبيد: حمزة هو الذي صار عظم أهل الكوفة إلى قراءته.

وكان الأعمش إذا رأى حمزة قد أقبل قال: (وبشر



علي، وأنا أكره أن أشرب من بيت من يقرأ علي الماء.
كثرة التلاوة: قال حمزة: نظرت في المصحف حتى خشيت أن يذهب بصري.

طول الصلاة: قال عبيد الله بن موسى: كان حمزة يقرأ القرآن حتى يتفرق الناس، ثم ينهض فيصلي أربع ركعات، ثم يصلي ما بين الظهر والعصر، وما بين المغرب والعشاء، وحدثني بعض جيرانه أنه لا ينام الليل، وأنهم يسمعون قراءته يرتل القرآن.

وأما ما ورد عن رؤيته لله عز وجل في المنام فلم يثبت إسناده ذلك. وهو منكر جداً: قاله الذهبي.

من أقواله:

ما قرأت حرفاً من كتاب الله إلا بأثر.

وفاته:

توفي سنة ستة وخمسين ومائة.

وقد روى خلف وخلاد عن حمزة بواسطة سليم بن عيسى.

قال الإمام الشاطبي رحمه الله:

روى خلف عنه وخلاد الذي

رواه سليم متقناً ومحضاً

سليم بن عيسى:

هو سليم بن عيسى بن سليم بن عامر بن غالب الإمام أبو عيسى، ويقال أبو محمد الحنفي مولاهم الكوفي المقرئ، صاحب حمزة الزيات وأخص تلامذته به، وأحدثهم بالقراءة وأقومهم بالحروف وهو الذي خلف حمزة في الإقراء بالكوفة.

قرأ عليه خلف بن هشام البزار، وخلاد بن خالد الصيرفي، وأبو عمر الدوري، وعدد كثير حتى إن رفقاءه في القراءة على حمزة قرؤوا عليه لاتقانه.

قال خلف: قرأت على سليم مراراً، وسمعته يقول: قرأت على حمزة عشر مرات.

توفي سنة ثمان وقيل تسع وثمانين ومائة.

خلف البزار (١٥٠-٢٢٩هـ)

هو الراوي عن سليم عن حمزة وأحد القراء العشرة، وهو خلف بن هشام بن ثعلب الإمام أبو محمد البغدادي البزار، له رواية عن حمزة بواسطة سليم، وله اختيار وقراءة تنسب إليه.

قرأ على سليم عن حمزة.

قرأ عليه: أحمد بن يزيد الحلواني، وإدريس بن عبد الكريم الحداد، وغيرهم.

وسمع من مالك، وأبي عوانة، وحماد بن زيد، وشريك، وطائفة.

وحدث عنه: مسلم في صحيحه، وأبو داود، وأحمد بن حنبل، وأبو زرعة، وأبو يعلى الموصلي، وأبو القاسم البغوي، وعدد كثير.

ثناء العلماء عليه:

وثقه يحيى بن معين والنسائي.

وقال الدارقطني: كان عادياً فاضلاً.

وقال الحسين بن فهم: ما رأيت أنبل من خلف بن هشام، كان يبدأ بأهل القرآن، ثم يأذن للمحدثين.

من فضائله:

قال خلف- رحمه الله-: أشكل علي باب من النحو، فأنفقت ثمانين ألف درهم حتى حدثته.

وقال: حفظت القرآن وأنا ابن عشر سنين.

إسحاق الراوي عن خلف:

هو إسحاق بن إبراهيم بن عثمان بن عبد الله أبو يعقوب المروزي ثم البغدادي الوراق، روى عن خلف اختياره وقام به بعده. توفي سنة ٢٨٦هـ.

إدريس الراوي عن خلف:

هو إدريس بن عبد الكريم الحداد، أبو الحسن البغدادي، إمام ضابط متقن ثقة، روى عن خلف روايته واختياره.

أقرأ الناس ببغداد، وقرأ عليه: أحمد بن بويان، وابن شنبوذ، والحسن بن سعيد المطوعي، وآخرون. توفي سنة ٢٩٢هـ وقيل سنة ٢٩٣هـ.

خلاد الراوي عن سليم عن حمزة:

هو خلاد بن خالد، ويقال ابن خليل، ويقال: خلاد بن عيسى، الشيباني الصيرفي الكوفي، إمام في القراءة ثقة عارف محقق.

يكنى أبا عيسى، ويقال: أبو عبد الله.

كان صدوقاً في الحديث والقراءة.

أخذ القراءة عرضاً عن سليم وهو من أضبط أصحابه وأجلهم.

قرأ عليه: محمد بن شاذان الجوهري، ومحمد بن الهيثم، والقاسم بن يزيد الوزان، وغيرهم.

وحدث عنه أبو زرعة وأبو حاتم. توفي سنة عشرين ومائتين.

وللحديث بقية إن شاء الله، نسأل الله أن يجعلنا من أهل القرآن.

مشروعية الخلاف

د. أحمد سبالك



أودع في قلب كل إنسان أنه يُدرك بها الصالح من الطالح، ألا وهي آلة العقل؛ حيث قال الله تعالى في آية الحج: «**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُوا لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا**» (الحج: ٤٦) الآية.

وجعل الله تبارك وتعالى هذه الآية مناط التكليف؛ حيث لا تكليف على مجنون، كما في الحديث: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ أُمَّتِي فِي ثَلَاثٍ».. «رواه أبو داود (٤٣٩٨) والنسائي (٣٤٣٢) وابن ماجه (٤١-٢)». الحديث. منهم: «المجنون». فالمجنون لا تكليف عليه بالاتفاق، وحتى وإن كان جنونه في وقت محدد، ثم أنعم الله تعالى عليه بإزالة هذا الجنون، ففي الوقت الذي كان فيه على جنون لا تكليف عليه.

ثم لا بد أن ندرك أن هذه الآية تتفاوت من إنسان لآخر، فليس بالضرورة أن تكون العقول واحدة، ما تفهمه أنت، قد لا أفهمه أنا، والعكس.

فالعقول متفاوتة حتماً، ليست متساوية في الفهم، وما تعقله أنت، قد لا أعقله أنا، والعكس، فهذه الفطرة التي فطر الله تعالى عليها هذه العقول.

ولهذا كان التكليف على قدر الطاقة والاستطاعة، كما حكم رب العزة بقوله في هذه الآية: «**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**» (البقرة: ٢٨٦)، وفي موضع آخر: «**لَا مَآءَ أَنْتَهَا**» (الطلاق: ٧).. وهكذا دواليك.

وهذا منطقياً صحيح؛ حيث القاعدة المنطقية تقول: «الحكم عن الشيء فرع من

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد؛

من نيروبي عاصمة كينيا الخضراء أكتب هذه المقالة، والتي عقدت العزم أن تكون- كما ذكرنا- عن (الخلاف أصوله وضوابطه)، وستدور هذه المقالات بإذن الله تعالى حول محاور عشرة:

المحور الأول: مشروعية الخلاف.

المحور الثاني: أسباب وقوع الخلاف.

المحور الثالث: شروط قبول الخلاف.

المحور الرابع: صفات من يُعتبر بقولهم في الخلاف.

المحور الخامس: التلفيق وواقعية الخلاف.

المحور السادس: أنواع المسائل الشرعية وأصلها بالخلاف.

المحور السابع: ما يجب عند الخلاف.

المحور الثامن: أقسام الخلاف وحكم كل قسم.

المحور التاسع: ضوابط التعامل مع المخالف.

المحور العاشر: الآثار المترتبة على الخلاف.

وليكون المراد على هذه المحاور العشرة بيان لكيفية الفكر ومجالاته عند المسلمين، لا الفكر المزعوم الهدام الذي يزعم صاحبه أنه صاحب فكر إسلامي.

فكلما في هذه الحلقة سيدور حول المحور الأول: ألا وهو: (مشروعية الخلاف).

اعلم أولاً أيها القارئ الكريم أن الله تعالى



تصور الشيء».

فطالما تصور الأشياء
يختلف؛ إذن الحكم عليها
يختلف.

وهذا- اختلاف التصور- يكون حقيقة
لأن كل من يسلك مسلكاً في التصور، يقول
المناطق؛ يتصور الناس الأشياء؛ إما عن
طريق الحس، أو من طريق التخيل، أو عن
طريق التعقل.

فكل منا يأتي بتصوره للشيء بالطريق
الذي يسلك، فينتج الخلاف.

فأخرجها لنا قاعدة تقول: «حتمية
الخلاف موجودة لتفاوت إدراك العقول».
ولهذا صرحت النصوص بوجود الاختلاف،
وأنه أمر فطري، كقوله تعالى: «**وَلَا يَرَأَوْنَ**
تَخْلِيفًا» (هود: ١١٨).

وكالنصوص التي وردت تحكي عن
الخلاف بين صحابة النبي صلى الله عليه
وسلم ورضي الله عنهم أجمعين، وقد عقد
ابن القيم مقدمة أكثر من رائعة لكتابه الماتع
«إعلام الموقعين عن رب العالمين»، جمع فيها
من مثل هذه النصوص والوقائع التي كانت
بين الصحابة الكرام، وكيف تعاملوا معها في
حياتهم، مما يجعلنا نقف مع هذه النصوص
الواجب علينا تدبرها والعمل بها في حياتنا،
لنتقبل الخلاف بضوابطه.

فنقف مثلاً مع حادثة عمار وعمر رضي
الله عنهما حينما أصبحا الاثنين على
جنازة واختلفوا في كيفية صلاة الصبح.

وخرج لنا من هذه الحادثة حكم التيمم
الذي ندين به إلى قيام الساعة.

وأيضاً حادثة الخلاف على صلاة العصر
في بني قريظة التي أخرجت لنا حكم الجمع
بين الصلوات (الظهر والعصر)، وغيرها من
الحوادث والوقائع التي أخرجت لنا أحكاماً

فقهيّة نتعبد بها، بل
وجعل الإجماع يتعقد
على قبول قدر من
الاختلاف الذي وقع آنذاك
إلى اليوم بل وإلى قيام الساعة.

فحتمية الخلاف واقعة لفطرية
المختلفين- كما بينا- ولهذا فالأصل أن
المختلفين عليهم تقدير ذلك والبعد عن
التعصب والنصرة للنفس والهوى.

فعندما دخل الشافعي مصر وكان المذهب
السائد فيها مذهب المالكية، حدث خلاف
بينه وبين أئمة المذهب (يونس الصفدي)،
على مسألة: لمس المرأة ينقض الوضوء أم لا؟
فالشافعي يرى أنه ينقض، والثاني
لا يرى ذلك. ومع أن الراجح مع الثاني إلا
أن انتصاره لنفسه جعله يترك المجلس
وينصرف فذهب له الشافعي؛ لأن الأخوة
أقوى من الخلاف، وذكره بذلك.

ولهذا أقول دائماً: إن علم الخلاف والكلام،
فيه يورث الألفة بين المسلمين، لا كما نرى الآن
أنه يورث العداء والشقاق بينهم، فأصبح سبباً
في تقطيع الأواصر والبغض الشديد المتناهي
للدين، فأصبحنا به أكثر تشرداً من السابق،
فاستغله العدو ليضرب وحدة المسلمين في كل
مكان، فلا بد أن نقبل أن فطرية الخلاف أمر
حتمي واقعي؛ لاختلاف الآلية التي ندرك
ونفهم بها، آلية الإدراك؛ العقول.

فاختلاف العقول يؤدي إلى اختلاف
العقول.

وطالما العقول متفاوتة فالمعقولات
متفاوتة.

جعلنا الله وإياكم من المتحابين فيه،
والى لقاء في المقال القادم إن شاء الله، وصلى
الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه
وسلم.

دراسات قرآنية

بحث في «المراد بضرب الأمثال»

مصطفى البصراي



ثانياً، التقدير:

قال ابن تيمية رحمه الله: «فالأصل فيهما - الذي يقاس عليه - هو المثل، والقياس هو ضرب المثل وأصله - والله أعلم - تقديره، فـضرب المثل للشيء تقديره له كما أن القياس أصله تقدير الشيء» (دقائق التفسير لابن تيمية: ٢٠٣/١).

وهذا الأصل لمعنى ضرب المثل الذي ذكره ابن تيمية رحمه الله صالح لأن يرجع إليه ضرب الأمثال بمختلف أنواعها.

حيث يكون أصل ضرب المثل، هو تقدير المعنى، أو الحكمة والحجة والعبرة والقدرة بالفاظ المثل، أو بمعنى آخر: ضرب المثل؛ هو إنشاء ألفاظ المثل التي يتم بها تقدير الحكمة أو الصفة أو الحجة أو نحوها للمخاطب، أو تقدير المشابه أو النموذج أو الأصل الذي يتوصل المخاطب المقايسة والمقارنة والاعتبار به إلى استخلاص البرهان والعبرة ونحوها.

وقد أرجع ابن تيمية رحمه الله جميع المعاني التي استخدم فيها المثل في اللغة إلى معنى التقدير. (دقائق التفسير: ٢٠٣/١).

وهذا المعنى مأخوذ من ضرب الدراهم وهو تقديرها، وضرب الجزية والخراج وهو تقديرهما.

ثالثاً: ضرب المثل؛ بمعنى قوله وإطلاقه والتمثل به في الحالات التي تشبه الحالة الأولى، وهو ألصق بالأمثال السائرة، مأخوذ من المعنى العام للضرب وهو: إيقاع شيء على شيء، حيث يتم إيقاع المثل السائر على الحالة المناسبة للتمثيل بينهما.

والمثل السائر هو الذي يشبهه مضره بمورده.

وهو مأخوذ من التمثيل أي: الإنشاد.

ويراد بمضرب المثل: الحالات والمواقف المتجددة التي يمكن أن يستعمل فيها المثل، لما بينها وبين مورد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فهذا بحث في المراد بضرب الأمثال في القرآن، ومناسيبه أنني ذكرت في العدد السابق عن ضرب الأمثال في القرآن آية: «فَلَا تَضْرِبُوا لِلْأَمْثَالِ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» (النحل: ٧٤)، وكذلك الآيات التي تأتي بعد في سورة النحل والإسراء والكهف والحج والعنكبوت والروم وييس والزخرف والتحريم، ففيها ذكر لفظ (ضرب الأمثال)، فأحببت أن أجمع كلمات حول المراد بضرب الأمثال في القرآن؛ لتتم الفائدة.

المراد بضرب الأمثال

يستخدم لفظ «ضرب» في اللغة كثيراً، وقد جمع أغلب تلك الاستخدامات الراغب الأصفهاني حيث قال: «الضرب إيقاع شيء على شيء، ولتصور اختلاف الضرب خولف بين تفاسيرها: كضرب الشيء باليد والعصا والسيف، ونحوها، وضرب الأرض بالطر، وضرب الدراهم... والضرب في الأرض الذهاب فيها وهو ضربها بالأرجل... وضرب الفحل الناقة تشبيها بالضرب بالطرقة كقولك طرقتها تشبيها بالطرق بالطرقة، وضرب الخيمة بضرب أوتادها بالطرقة... وضرب اللبن بعضه على بعض بالخلط، وضرب المثل هو من ضرب الدراهم وهو ذكر شيء أثره يظهر في غيره». (المفردات في غريب القرآن ص ٢٦٤، ٢٩٥).

وضرب المثل يرجع إلى أربعة معان رئيسية، وهي: **أولاً:** نصب المثل وإظهاره للمخاطبين لتستدل عليه خواطرهم كما تستدل على الشيء المنصوب نواظرهم. (الأمثال العربية لقطامش ص ١٢).

وهو مأخوذ من ضرب الخيمة، أي: نصبها. وهذا المعنى هو ألصق بالأمثال الأنموذجية، والشواهد والحجج المنصوبة للاعتبار أو الاستدلال بها.



المثل من التشابه.

ومورد المثل يراد به: الحالة التي قيل فيها ابتداءً.
(الأمثال العربية لعبد المجيد قطامش ص ١٤).

رابعاً: الضرب للمثل بمعنى التلقيح:

قال ابن تيمية رحمه الله: «وضرب المثل لما كان جمعاً بين علمين يطلب منهما علم ثالث كان بمنزلة ضراب الفحل الذي يتولد عنه الولد، ولهذا يقسمون الضرب إلى ناتج وعقيم كما ينقسم ضرب الفحل للأنثى إلى ناتج وعقيم». (دقائق التفسير ٢٠٤/١).

وهذا النوع مأخوذ من ضرب الفحل الناقصة وهو ألصق بالأمثال القياسية التشبيهية والأنموذجية. فالأمثال القياسية- من جهة- تلقح الأفكار وتنبيهها على القياس والتفكير والاعتبار.

ومن جهة أخرى يتم فيها التلقيح بين الفرع والأصل ليحصل النتيجة الموجبة وهي التي تسمى الناتج حيث يُعطي حكم الأصل للفرع، أو تكون نتيجة الاعتبار سلبية وهي العقيم التي لا يلحق بها الفرع بالأصل في الحكم لوجود مانع.

خلاصة هذا المطلب:

وخلاصة هذا المطلب أن المراد بضرب الأمثال يختلف باختلاف أنواع المثل فقد يكون المراد بضرب المثل: هو قوله والتمثل به كما في الأمثال السائرة، وقد يكون نصبه وإشخاصه أمام العقول كما في الأمثال القياسية، وقد يكون معنى الضرب يعود إلى تقدير ما فيه من المعاني والحكم والحجج، كما يراعى في معنى الضرب ما ينتج عنه من تلقيح الأفكار والخواطر وإخصابها أو لما يتولد عنه من النتائج.

اشتغال المثل على القياس:

القياس هو التقدير: يقال قاس الشيء إذا قدره، ويستعمل أيضاً في التشبيه، أي في تشبيه الشيء بالشيء، يقال هذا قياس ذاك، إذا كان بينهما تشابه، والقياس اللغوي رد الشيء إلى نظيره.

فالقياس على هذا أوسع مدلولاً من التشبيه، فقد يكون القياس بأسلوب تشبيهي أو بغيره.

والقياس في الأمثال يكون بطريقتين:

أحدهما: التشبيه- كقوله تعالى: «فَلَهُ كَمَلٌ **الْكَلْبُ**» (الأعراف: ١٧٦)، وهذا النوع يقوم فيه المتكلم بإجراء القياس بتشبيه الفرع بالأصل

وبيان وجه المشابهة، وغالباً ما يوجد فيه أداة من أدوات التشبيه.

الثاني: إبراز النموذج- الذي يراد أن يحتذى به- والشاهد والحجة ليقاس عليها ويعمم حكمها لكل من تحقق فيه وصفها، كقوله تعالى: «وَضَرَبَ **مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا آَمْرًا يُرْغَوْنَ**» (التحريم: ١١).

وهذا النوع من الأمثال يبرز فيه الأنموذج أو الشاهد أو الحجة أو القصة ويترك للسامع تدبرها وإجراء القياس بإلحاق النظرير بالحكم أو الوصف العام المدلول عليه المثل، وغالباً ما يرد لفظ «ضرب» في أمثلة هذا النوع، نحو: «ضَرَبَ **اللَّهُ مَثَلًا لِمَنْ شَرَّكَهُ** **مُنْتَكَشُونَ**» (الزمر: ٢٩)، وقوله تعالى: «وَأَضْرَبَ **لَهُمْ مَثَلًا أَحَبَّ أَقْرَبًا إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ**» (يس: ١٣)، وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى إلى هذين النوعين من الأمثال وأنها يتضمنان نوعي القياس- قياس التمثيل وقياس الشمول- حيث قال: «وضرب الأمثال في المعاني نوعاً القياس: أحدهما: الأمثال المعينة التي يقاس فيها الفرع بأصل معين موجود أو مقدر.

الثاني: (الأمثال الكلية) وقال: «والصواب ما عليه السلف من اللغة الموافقة لما في القرآن.. كليهما قياس وتمثيل واعتبار، وهو في قياس التمثيل ظاهر، أما قياس الشمول فلاذنه قياس كل واحد من الأفراد بذلك المقياس العام الثابت في العلم والقول وهو الأصل.

فالأصل فيهما هو المثل والقياس ضرب المثل»- (مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٥٥/١٤).

فقول شيخ الإسلام: «فالأصل فيهما هو المثل»، أي أن العلم المدلول عليه بأفاز المثل المبين لأوصاف الممثل به وحكمه أو حاله هو الأصل الذي يلحق به الفرع في الحكم كما قال قبل ذلك: «فالأنه يقاس كل واحد من الأفراد بذلك المقياس العام الثابت في العلم والقول وهو الأصل».

أما قوله: «والقياس ضرب المثل» أي أن ذلك العلم المدلول عليه بأفاز المثل ينصب ويبرز للعقول- بضربه مثلاً- ليلحق به ما يشابهه أو يندرج تحته من أفراد في الأحكام والأوصاف المعتمدة من المثل وهذا هو القياس. (الأمثال القرآنية للدكتور عبد الله الجربوع ٩٦/١).

وأخردعواناً أن الحمد لله رب العالمين.

ميراث النساء بين الحرمان والتفضيل في العطاء

الحلقة الثانية

الإعداد: المستشار/ أحمد السيد علي إبراهيم

مختلفة، فقد يكون مرده إلى الشرع فيقرر حرمانها منه لوجود المانع، وقد تحرم المرأة من الميراث استناداً إلى فتوى خاطئة أدت إلى حرمانها، وقد يكون الحرمان مبنيًا على اتباع الهوى، وذلك على التفصيل الآتي:

أ- الحرمان المبني على نصوص الشرع:

فقد حرم الشرع بعض من وجد فيه موانع الإرث، من الرجال والنساء، ونحن هنا بصدد الحديث عن حرمان الشرع من النساء من الإرث لوجود المانع كالتالي:

أولاً القتل: فمن قتلت مورثها لا تترك منه شيئاً، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس للقاتل شيء»، وإن لم يكن له وارث، فوارثه أقرب الناس إليه، ولا يرث القاتل شيئاً، (رواه أبو داود وحسنه الألباني)، ولكونها استعجلت الإرث قبل أوانه فعوقبت بحرمانها منه، لقاعدة: «من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه»، ولأنها تعاقب بنقض قصدها.

ثانياً: اختلاف الدين بين المورث والمرأة الوارثة:

ومعناه: أن يكون المورث (الميت) على دين، والوارث على دين آخر، فاختلاف الدين بين الشخصين يمنع من توارث بعضهم من بعض، واختلاف الدين بين الشخصين له عدة صور منها:

١- أن يكون الميت مسلماً، والوارث كافراً: وفي هذه الحال لا يرث الكافر من قريبه المسلم - بلا خلاف بين العلماء في الجملة - لما رواه أسامة بن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يرث المسلم الكافر». ولا يرث الكافر المسلم، (رواه البخاري ومسلم).

٢- أن يكون الميت كافراً والوارث مسلماً: وفي هذه الحال لا يرث المسلم قريبه الكافر في قول جمهور أهل العلم بدليل الحديث السابق. فمن أسلمت لا تترك من

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. أما بعد: فقد تحدثنا في العدد الماضي عن أن الله تعالى قد قسم الموارث بين عباده بنفسه، ولم يتركها لأحد من البشر أن يقسمها، فجاء نظام الموارث على أكمل وجه، وأعد له، وأمر الله عباده بطاعته، وامتنال أمره، واجتناب نهيه، فمن عباده من أطاعه، ومنهم من أبى، ومن هؤلاء الذين يظلمون المرأة، في الميراث مما يستلزم بيان الحكم الشرعي فيه، وهو ما سنكمل الحديث حوله في هذا العدد:

خامساً: حرمان النساء من الميراث:

وبعد أن قسم الله - بنفسه - الموارث على أصحابها، رغب المسلمين في طاعته بالوقوف عند حدوده، ووعد المطيعين بدخول جنته، ونهاهم عن معصيته، وتعدى حدوده التي بينها في آيات الموارث، وتوعد العاصين بالنار، والعذاب المهين، فقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ، وَيُخْلِئْ لَكُمْ دِينَكُمْ، وَتَحْتِهَا الْأَنْهَكُ الْخَلِيلِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْغُورُ الْعَظِيمُ (١٣) وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا كَلِيلًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ» (النساء: ١٣ - ١٤)، وبالرغم من هذا الوعيد الشديد للعاصين، إلا أن كثيراً من الناس الآن قد تغافلوا عنه، وحرّموا النساء من ميراثهم مستنديين إلى أسباب أوهى من بيت العنكبوت، وهي:

- أ- طمع الأقارب في ميراث المرأة.
- ب- التأخر في تقسيم التركة.
- ج- التقاليد والعادات القبلية الجاهلية.
- د- اعتقاد البعض أن المرأة لا تحسن التصرف في مالها.

هـ- دعوى ضياع أموال الأسرة.

أقسام حرمان النساء من الإرث:

وحرمان النساء من الإرث، قد يرجع لأمر



الصورة الثانية: التنازل عن الإرث قبل قبضه:

قد تعتاد بعض المجتمعات تعنيف المرأة وتوبيخها إذا أخذت حقه في الميراث مما يجعل النساء يتنازلن عن ميراثهن ابتداءً لعلهن بما يترتب على أخذ حقهن من اللوم، واعتبارهن خارجات عن التقليد الجاهلي المتبع في المجتمع. وهذا التنازل لا يجوز، ولا عبرة به، ولا يصير به مال المرأة المتنازلة حلالاً لأنه تنازل عن غير طيب نفس، وقد قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُطْلِ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بِحُكْمٍ عَنْ رَاضٍ بَيْنَكُمُ» (النساء: ٢٩)، وعن حنيفة الرقاشي رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِطَيْبِ نَفْسٍ مِنْهُ» (رواه أحمد وصححه الألباني).

إذا تقرر هذا فإن تنازل الوارث - ذكراً كان أو أنثى - عن ميراثه جائز شرعاً بالشروط والضوابط التالية: أولاً: يصح التنازل عن الميراث بعد موت المورث فقط، وليس حال حياته، أي بعد استحقاق الميراث لا قبله. ومعنى الاستحقاق أن يثبت الحق ويجب، وثبت الميراث للوارث لا يكون إلا بعد موت المورث. وبناءً على ذلك لو تنازل بعض الورثة عن ميراثهم قبل وفاة المورث، فالتنازل باطل لا يصح.

ثانياً: يشترط فيمن يتنازل عن ميراثه أن يكون بالغاً عاقل رشيداً، فلا يصح التنازل من الصغير - من هو دون البلوغ - ولا من المجنون أو المعتوه، لأن التنازل عن الميراث قد يعود بالضرر عن المتنازل، فلا بد أن يكون راشداً.

ثالثاً: يجب أن يكون التنازل عن الميراث بإرادة المتنازل وبدون إكراه، فلا يصح تنازل المكره، وفي معنى الإكراه تعنيف المرأة المطالبة بميراثها وتوبيخها، واعتبارها خارجة عن تقاليد العائلة أو القبيلة. فإن حصل التنازل في حالة الإكراه والتعنيف، فهذا التنازل لا عبرة به ولا يصير به مال المرأة المتنازلة حلالاً، لأن التنازل وقع بدون رضا ولا طيب نفس، وعن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يحل للرجل أن يأخذ عصا أخيه بغير طيب نفسه، وذلك لشدة ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مال المسلم على

أقاربها غير المسلمين، ولا يرثون منها شيئاً. ٣- أن يكون الميت كافراً من ملة والوارث كافراً من ملة أخرى، فلا توارث بينهما (لحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ شَتَى» (رواه أبو داود وحسنه الألباني).

وتوجد اختلافات فقهية في تحديد الملة فمنهم من قال الكفر كله ملة واحدة، ومنهم من قال الملل ثلاث، اليهودية ملة والنصرانية ملة وما سواهما من ملل الكفر ملة واحدة.

الرق: وقد جفف الإسلام منابع الرق، فلم يتبق منه شيء الآن.

ب- الحرمان المبني على الخطأ في الفتوى:

وقد تحرم المرأة من الإرث نتيجة فتوى خاطئة، كما حدث من أبي موسى الأشعري، فعن هزيل بن شرحبيل قال: «سُئِلَ أَبُو مُوسَى عَنْ ابْنَةِ وَابْنَةِ ابْنِ وَأَخْتِ، فَقَالَ: لِابْنَةِ النِّصْفِ، وَلِلْأَخْتِ النِّصْفُ، وَاتَّ ابْنِ مُسْعُودٍ فُسَيْتَابِعْنِي. فَسُئِلَ ابْنُ مُسْعُودٍ وَأَخْبَرَ بِقَوْلِ أَبِي مُوسَى فَقَالَ: لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذَا مَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ، أَقْضِي فِيهَا بِمَا قَضَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لِلْابْنَةِ النِّصْفَ، وَلِلْابْنَةِ الْابْنِ السُّدُسَ تَكْمِلَةً الثَّلَاثِينَ وَمَا بَقِيَ فَلِلْأَخْتِ، فَاتَيْنَا أَبَا مُوسَى فَأَخْبَرْنَاهُ بِقَوْلِ ابْنِ مُسْعُودٍ، فَقَالَ: لَا تَسْأَلُونِي مَا دَامَ هَذَا الْحَبْرُ فِيكُمْ.» (رواه البخاري) فقد أفتى أبو موسى فتوى خاطئة ترتب عليها حرمان ابنة الابن من نصيبها في الإرث، وهو السدس، وجعله للأخت، ألا فليتق الله من يتجرأ على الفتوى، ويسأل إذ لم يعلم، ويحيل الأمر على المتخصصين.

ج- الحرمان المبني على اتباع الهوى:

وقد يكون حرمان المرأة من الإرث نابغاً من اتباع الهوى؛ مصداقاً لقوله تعالى: «أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ عَنَبَةً فَمَنْ يُهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ» (الجن: ٢٣)، ولا اتباع الهوى بعض الصور المشهورة في هذا العصر، ومنها: الصورة الأولى: اشتراط الزوجين تنازل كل منهما عن إرثه؛

هناك من الناس من يريد الزواج الثاني، ولا يريد إشراك غير أسرته الأولى في الميراث، حتى لا تفاجأ بالزواج بعد وفاته حال كون الزواج الثاني لا تعلم به الأسرة الأولى، أو حتى لا يكون مانعاً من الموافقة عليه من الأسرة الأولى إن كانوا على علم به.

المسلم» (رواه أحمد وصححه
الألباني).

رابعاً: أن يكون التنازل صريحاً
لا حياءً: لأن ما أخذ بسيف الحياء
فهو حرام، فلا يجوز للمسلم أن يأخذ مال
غيره بالحياء.

خامساً: يشترط أن يكون التنازل في حال
الصحة، لا في حال مرض الموت، لأن تصرفات
المريض مرض الموت لها أحكام خاصة، ومرض الموت
هو: المرض المخوف الذي يتصل بالموت، ولو لم يكن
الموت بسببه، وهذا مذهب جمهور الفقهاء، قال
ابن المنذر: «أجمع كل من أحفظ عنه من أهل العلم
أن حكم الهبات في المرض الذي يموت فيه الواهب:
حكم الوصايا» اهـ.

سادساً: إذا كان الميراث المتنازل عنه عقاراً،
فلا يصح التنازل عنه إلا بقبضه، وقبض العقار
يكون بالتخلية والتمكين من التصرف فيه باتفاق
الفقهاء، لأن التنازل عن الميراث يعد هبة، والهبة لا
تلتزم إلا بالقبض، وإن كان عقاراً فقبضه بالتخلية
بينه وبين المشتري، بلا حائل دونه، وتمكينه من
التصرف فيه، بتسليمه المفتاح إن وجد، بشرط أن
يفرغه من متاع غير المشتري عند الشافعية، واعتبر
الحنفية التخلية - وهي: رفع الموانع والتمكين من
القبض - قبضاً حكماً على ظاهر الرواية، وروى أبو
الخطاب مثل ذلك عن أحمد وشرط مع التخلية
التمييز، (الموسوعة الفقهية الكويتية).

إذا تحققت شروط التنازل عن الميراث، فلا
يجوز الرجوع فيه لأنه هبة، والهبة لا يجوز
الرجوع فيها بعد القبض، ويدل على حرمة رجوع
الواهب في هبته لحديث ابن عباس رضي الله
عنهما. (رواه البخاري ومسلم) وعنه قال النبي
صلى الله عليه وسلم: «ليس لنا مثل السوء»،
الذي يعود في هبته كالكلب يرجع في قبته» (رواه
البخاري). قال الإمام البخاري في صحيحه: «باب
لا يحل لأحد أن يرجع في هبته وصدقته»، وقال
الإمام النووي: «باب تحريم الرجوع في الصدقة
والهبة بعد القبض إلا ما وهبه لولده، وإن سفل»
واستثنى الوالد من الحكم السابق، فيجوز للوالد
الرجوع فيما وهبه لولده، كما هو مذهب جمهور
الفقهاء، لما صح في الحديث عن ابن عمر وابن عباس
رضي الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«لا يحل للرجل أن يعطي عطية أو يهب هبة فيرجع
فيها، إلا الوالد فيما يعطي ولده، ومثل الذي يعطي
العطية ثم يرجع فيها كمثل الكلب، يأكل فإذا شبع
قاء، ثم عاد في قبته» (رواه أصحاب السنن وأحمد،
وقال الترمذي حسن صحيح وصححه العلامة
الألباني).

قال الحافظ في الفتح: «وحجة الجمهور في
استثناء الأب أن الولد وماله لأبيه، فليس في
الحقيقة رجوعاً، وعلى تقدير كونه رجوعاً، فربما
اقتضته مصلحة التأديب ونحو ذلك». وقد ألحق
أكثر الفقهاء الأم بالأب في جواز الرجوع في الهبة.
قال الشيخ ابن قدامة المقدسي: «وظاهر كلام
الخرقي أن الأم كالأب في الرجوع في الهبة، لأن
قوله "وإذا فاضل بين أولاده" يتناول كل والد. ثم
قال في سياقه "أمر برده" فيدخل فيه الأم، وهذا
مذهب الشافعي، لأنها داخله في قوله "إلا الوالد
فيما يعطي ولده" ولأنها لما دخلت في قول النبي
صلى الله عليه وسلم «سوا بين أولادكم» ينبغي
أن يتمكن من التسوية والرجوع في الهبة، طريق في
التسوية، وربما تعين طريقاً فيها إذا لم يمكن إعطاء
الأخر مثل عطية الأول، ولأنها لما دخلت في المعنى في
حديث بشير بن سعد، فينبغي أن تدخل في جميع
مدلوله لقوله (فارده) وقوله (فأرجعه)، ولأنها لما
ساوت الأب في تحريم تفضيل بعض ولدها ينبغي
أن تساويه في التمكن من الرجوع فيما فضله به
تخليصاً لها من الإثم وإزالة للتفضيل المحرم كالأب.
والمنصوص عن أحمد أنه ليس لها الرجوع،
قال الأثرم: قلت لأبي عبد الله الرجوع للمرأة فيما
أعطته ولدها كالرجل؟ قال ليس هي عندي في
هذا كالرجل لأن للأب أن يأخذ من مال ولده والأم
لا تأخذ وذكر حديث عائشة: «أطيب ما أكل الرجل
من كسبه وإن ولده من كسبه» أي كأنه الرجل، قال
أصحابنا: والحديث حجة لنا، فإنه خص الوالد
وهو بإطلاقه إنما يتناول الأب دون الأم، والفرق
بينهما أن للأب ولاية على ولده ويحوز جميع المال
في الميراث والأم بخلافه، وقال مالك للأم الرجوع في
هبة ولدها ما كان أبوه حياً فإن كان ميتاً فلا رجوع
لها، لأنها هبة ليتيم، وهبة اليتيم لازمة كصدقة
التطوع، ومن مذهبه أنه لا يرجع في صدقة
التطوع» اهـ. (يراجع المغني لابن قدامة)
وللحديث بقية إن شاء الله.



جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م

ومن أهدافها

١ الدعوة إلى التوحيد الخالص الأظهر من جميع الشوائب، وإلى حب الله تعالى حباً صحيحاً صادقاً، يتمثل في طاعته وتوقره، وحب رسوله صلى الله عليه وسلم حباً صحيحاً صادقاً، يتمثل في الاقتداء به واتخاذ أسوة حسنة.



٢ الدعوة إلى أخذ الدين من نبعه الصافين : القرآن والسنة الصحيحة، ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.



٣ الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدة وعملاً وخلقاً.



٤ الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله، فكل مشروع غيره - فيما لم يأذن به الله تعالى - معتد عليه سبحانه، منازع إياه في حقوقه.



**ثمن الكرتونية
١٠٥٠ جنيه**

مجلة التوحيد مكتبة علمية .. تحتاج إليها



لا يستغني عنها بيت مسلم

الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم من مجلة التوحيد

أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية داخل مجلدات التوحيد

كتابات وأبحاث وإنتاج فكري لشيخ وعلماء ودعاة من مصر والعالم الإسلامي

23936517

للاستفسار.. يرجى الاتصال
بقسم الاشتراكات بمجلة التوحيد